SHIBLI BOOK DEPOT
LUCKNOW.
شبلی بک ڈپو

الانتقاد

(علی)

کتاب التمدن الاسلامی للفاضل جرجی زیدان

للشیخ الاستاذ شبلی النعمانی الهندی

(اعتنی بطبعه)

القارئ محمد عبد الولی بن العلامة الاسی المرحوم

(طبع)

فی مطبعة اشتیاق الکائنة فی محمود نگر لکنؤ

سنة ۱۹۱۲ء

جدول الصلاح ما وقع في طبع هذا الكتاب من الخطأ والتصحيف

	سطر	خطأ	صواب	صفحه	سطر	خطأ	صواب
١	٧	٧سايه	٧سايسه	٧	١٣	هذه الصنيعة	هذا الصنيع
٢	١	من		″	٤	لترويح	لترويج
″	١٣	الخزانة	خزانة	″	٥	تصيب	يصيب
٣	١٤	حَمَّلْتُ	حملت	″	٩	تغير	تغيير
″	١٥	ليس	ليست	٩	٢	بزورهم	بذورهم
″	١٧	اتبز	ابتزّ	″	٩	مهدى	المهدى
٤	١	العرب	عرب				
″	١٣	يحرّمون	يحرمون	″	١٣	عرب	عربى
٥	١٥	امثلةً	امثلةً	″	١٤	عرب	عربى
٦	٢	به	بهم	١٠	٥	كوفة	الكوفة
″	٤	ابن وقاص	ابن ابى وقاص	″	٨	كوفة	الكوفة
″	٦	حيرة	الحيرة	″	″	قضايه	قضائه
″	١٤	وترميه	وترميهم	″	″	استنكفوا	لاستنكفوا

صفحه	سطر	خطأ	صواب
١٠	١٢	لايبايع	لاتبايع
١٢	٢	ولدا	ولدًا
〃	٨	مرزولين	مرذولين
〃	١٠	المَل	المَلل
〃	١٦	يمن	اليمن
١٢	٦	انوالى	من الموالى
〃	١٠	المسايل	المسائل
〃	١٤	تعذر	تعذرت
〃	١٦	حسن	الحسن
١٣	١	يكون	تكون
〃	٤	المسايل	المسائل
〃	١٢	يمن	اليمن
١٤	١	حجاج	المحجاج
〃	١٥	عقد الفريد	العقد الفريد
١٥	٥	مرزولين	مرذولين
١٥	٩	الهجية	الهيجية
١٦	١٦	يلايم	تلايم
〃	〃	الطبعى	الطبيعى
〃	١٠	بادئ الظلم	بادئ بالظلم
〃	١٦	لرمتها	لزمّها
١٩	٤	اعتذارا	بالاعتذار
〃	٨	مسايل	مسائل
١٩	١١	رمته	رمّه
〃	١٦	ولدٌ لمروان	ولدٍ لمروان
٢٠	١٥	بها	له
〃	١٦	الموثوقة	الموثوق
〃	١٧	يكن	تكن
٢١	٣	المراد	مراد
〃	٦	نال	نالت
٢٢	١	المختلفة	المختلفة

صفحه	سطر	خطأ	صواب
〃	١٣	لعلج	العلج
〃	١٦	الوليدُ	الوليدَ
٢٣	١٥	دماءًا	دماءً
٢٤	٦	ساير	سائر
〃	٧	يسر	بسر
〃	٦	الموثوقة	الموثوق
٢٦	٢	يستشن	يستثن
〃	٤	باس	بأس
〃	٥	كان	كانت
〃	〃	رافعا	رافعة
〃	〃	هادما	هادمة
〃	١٧	صنيعة	صنيع
٢٧	١	القايم	القائم
〃	٨	قايمة	قائمة
〃	١١	ثم قال"	قال" ثم
〃	١٥	اليه	اليها
〃	٢٨	طايفة	طائفة
〃	١٠	ابالجلوس	بالجلوس
〃	١٤	يجترئ	يجترئ
٣٠	٢	اجترءت	جترأت
〃	٦	اميه	ميه
〃	١٠	نتايج	نتائج
〃	〃	سايز	سائر
٣١	١١	الكلام	للكلام
〃	١٢	احدًا	واحدًا
٣٢	٢	للقريش	لقريش
٣٣	١	ليتس	ليس
〃	٢	زياد	زيادًا
〃	٧	ليتس	ليس
〃	١١	وسبيلة	وسيلة

صفحه	سطر	خطأ	صواب	صفحه	سطر	خطأ	صواب
〃	۱۳	الجزيّة	الجزية	۳۸	۱	لكان	لاك
〃	۱۵	السلامهم	اسلامهم	〃	۵	الرهبة	الرهبنة
〃	۱۶	الجزيّة	الجزية	〃	۷	ولكن	لكن
〃	〃	يكن	تكن	〃	۹	اليهذا البحث	خاتمهذا البحث
〃	〃	شئ	شيئا				
۳۵	۱	عمالٍ	عمالًا	〃	۱۸	اهتدنا	اهتدينا
〃	۳	لحرب	الحرب	۳۸	۱۹	خيانا تها	خيانانه
〃	۸	نى	فى	〃	۲۰	التغيير	التغيير
〃	۱۶	البّ	تالّب	۳۹	۵	اناشدك بالله	اناشدك الله
〃	۱۷	قتلوه	قتلوه				
۲۶	۲	اشرس	الاشرس	〃	۷	شاو	شأو
〃	〃	اشرس	الاشرس	〃	۱۵	العرب	عرب
〃	۱۵	الجزير	الجزية	〃	〃	العرب	عرب
۳۷	۲	المؤلف	المولف	۴۰	۷	صع نوع	بنوع
〃	۱۳	لااجتراء	الاجتراء	〃	۸	المعاوبة	معاوبة

صفحه	سطر	خطأ	صواب
٤٠	١٣	انظروه	انظروا
〃	١٦	حوايج	حوائج
٤١	١٠	لملك	الملك
〃	١٥	حنفية	الحنفية
〃	١٦	كفاءة	كفاية
٤٢	١	هذه	هذا
〃	٥	خلفايهم	خلفائهم
〃	٨	سوال	سوآل
٤٣	١	المودبين	المؤدبين
〃	٥	ضرب	ضربت
٤٤	٥	هنا	هنالك
〃	١٥	الذين	فان الذين
〃	٩	بيعة	سعة
٤٥	٨	صماديح	صهاريج
〃	٥	الف	الاف
٤٧		نعوذا	نفوذا
〃	١	المودبين	المؤدبين
〃	١٢	التصحيب في	التصحيف في
٤٩	٢	رجأ	رجاء
〃	٥	استودعت	استيداعها
〃	١٥	يومين	يومئذ
٥٠	٣	مدونوا	مدونو
〃	٤	فقد	.
〃	١٢	يزيد عبد	يزيد بن عبد
٥١	٨	سالة	سأله
〃	١٠	الماضيين	الماضين
٥٢	١٣	العلمين	العلمين
٥٣	٧	اذا	واذا
٥٤	١٣	موسس	مؤسس
〃	١٤	تضئيقا	تضييقا

صفحه	سطر	خطأ	صواب
٥٥	١	انتها	انته
//	٤	ذهب	ذهبت
//	٧	القران	القرآن
//	١٥	النصبغ	التصبغ
٥٦	١	يوموهم	يأمونهم
//	٤	من	عن
٥٧	٦	ساموها	ساموهم
//	٨	مواضع	موضع
//	١١	انفهم	انوفهم
//	١٤	تشأزعنها	تشأزمنها
٥٨	٢	سجنوهم	سجنوا
//	//	عذبوهم	عذبوا
//	٤	تفتخرها	يفتخربها
//	٧	خاب	خابت
//	//	يكادلا	لايكاد
//	١٣	اضطهدوا على	اضطهدوا
//	١٤	يوبه	يؤبه
//	١٦	امرة	امره
٥٩	١	باحراج	باخراج
//	٨	بهدم	هدم
//	١٣	المخزانة	خزانة
٦٠	٢	تضريح	تصريح
//	١٢	موثوقين	موثوق
//	١١	مّا	ما
٦١	١	محوبها	محوها
	،	ايضاجا	ايضاحًا
//	٢	هذا	ذلك
//	١١	قرءة	قراءة
//	١٠	الايخيل	الانجيل
٦٢	٢	اتشوقوا	تشوقوا

صفحہ	سطر	خطأ	صواب
۶۲	۱۷	بالاخبار	بالاخبار
۶۲	۵	ن المسئلة	كانت المسئلة
۶۴	۱۰	بن اسلام	بن سلام
۶۵	۱	عمو والوری	عمرو السواری
〃	۹	یکن	تکن
	۱۱	یتصل	تتصل
	۱۳	یکون	تکون
۶۶	۳	اخبار	الاخبار
۶۷	۱۳	صار	صارت
۶۹	۹	امبراطورة	امبراطرة
〃	۱۷	لو	ان
۷۰	۹	وشام	والشام
〃	۱۱	حیا	حا
〃	۱۳	ما	صا
۷۱	۱	الخزانة	خزانة
〃	۱۰	لسان الاردو	اللسان الاردوی
〃	〃	احد من اهل	احد اهل
〃	۱۱	شطرُ	شطرٌ
〃	۱۵	لموثوقة	الموثوق
۷۲	۱	کان ضاعت	ضاعت
〃	۷	علیهم	علمهم
〃	۱۳	المصر	مصر
۷۳	۵	تقئید	تقیید
۷۴	۱۴	فراینا	فرأینا
۷۴	۱۶	لنصار اهل الشام	انصار الشام
۷۵	۳	التضئیق	التضییق
〃	۶	الموثوقة	الموثوق
〃	۱۶	یجزونهم	یجبرونهم
۷۶	۹	فرجاة البضاعة	بضاعة مزجاة
〃	۱۰	اسماءًا	اسماءً

صفحہ	سطر	خطأ	صواب
٧٦	١٧	المالك	مالكًا
〃	〃	محمد	احمد
٧٧	٩	سبحنه	سبحنه
٧٨	١٣	نسخته	نسخة
٧٨	٨	الحماد	لحماد
٧٨	٨	الابراهيم	لابراهيم
٧٩	١٢	وجها	وجهها
〃	١٤	بخلع	بخلع
٨٠	١٢	من احد	احد
〃	١٦	فاخذ	اخذ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلوٰة والسلام على رسوله محمد وآله وصحبه اجمعين

ان الدهر دار العجايب، ومن احدثى عجايبه ان رجلا من رجال العصر يؤلف فى تاريخ تمدن الاسلام كتابا يرتكب فيه من تحريف الكلم وتمويه الباطل وقلب الحكاية والخيانة فى النقل وتعمد الكذب، ما يفوق الحد، ويتجاوز النهاية، وينتشر هذا الكتاب فى مصر وهى غرة البلاد وقبة الاسلام ومغرس العلوم ثم يزداد انتشارا فى العرب والعجم ومع هذا كله لا يتفطن احد لدسايسه ان هذا الشئ عجاب لم يكن المرء ليجترى على مثل هذه الفظيعة فى مبتدأ الامر ولكن تدرج الى ذلك شيئا فشيئا فانه اصدر الجزء الثانى من الكتاب وذكر فيه مثالب العرب دسيسة يتطلع بها على احساس الامة وعواطفها ولما لم يتنبه لذلك احد ولم ينهض لاحد عرق ووجد الجو صافيا ارخى العنان وتمادى فى الغى واسرف فى النكاية بالعرب عموما وخلفاء بنى امية خصوصا۔

وكان يمنعنى عن النهوض الى كشف دسايسه اشتغالى بأمر ندوة العلماء

ولكن لما عمّ البلاءُ وتوسّع الخرقُ وتفاقم الشرّ لم أُطق الصبر فانخلستُ مِنْ مِنْ اوقاتي آنًا مّا وتصديت للكشف عن عوار هذا التأليف والابانة عما فيه من انواع الإفكِ والزورِ واصناف التحريف والتدليس،

معذرة الى المؤلف

انى ايُّها الفاضل المؤلف غير جاحد لمنتك فانك قد نوهت باسمي في تاليفك هذا وجعلتني موضع الثقة منك واستشهدت باقوالي و نصوصي ووصفتني بكوني من اشهر علماء الهند مع انّ اقلهم بضاعة واقصرهم باعًا واخملهم ذكرا ولكن مع كل ذلك هل كنت ارضى بان تمدحني وتهجو العرب فتجعلهم غرضا لسهامك ودريّة لرمحك ترميهم بكل معيبة وشين وتعزو اليهم كل دنيّة وشر حتى تقطعهم ارباارباوتمزقهم كل ممزق وهل كنت ارضى بان تجعل بني امية لكونهم عربا بجتا من اشر خلق الله واسوئهم يقتلون بالناس ويسومونهم سوء العذاب ويهلكون الحرث والنسل ويقتلون الذرية وينهبون الاموال و ينتهكون الحرمات ويهدمون الكعبة ويستخفّون بالقران،

وهل كنتُ ارضى بان تنسب حريق الخزانة الاسكندرية الى عمر ابن الخطاب الذى قامت بعدله الارض والسماء وهل كنت ارضى بان تمدح بني العباس فتعدّ من احدى مفاخرهم انهم نزّلوا العرب منزلة الكلب حتى ضرب بذلك المثل وان المنصور بنى لقبته الخضراء ارغامًا للكعبة وقطع الميرة عن الحرمين استهانة بهما وان المامون كان ينكر نزول القران وان المعتصم بالله انشأ لعبة

فی سامرا وجعل حولها طوافا واتخذ منی وعرفات۔

وهب انی عدمت الغیرة علی الملة والدین وافتخرت کصنیع بعض الاجانب بان فلسفی بحت عادم لکل عاطفةٍ ووجدان فلا ارضی ولا اغضب ولا اسر ولا اغتاظ ولا افرح ولا اتالم وهب انی حملت نفسی علی احتمال الضیم وقبول المکروہ والصمم عن البلاء ومجازاة السیئة بالحسنة ومکافاة الخبیث بالطیب فهل کنت ارضی بان تشوہ وجه التاریخ وتدمغ الحق وترّوج الکذب تفسد الروایة وتقلب الحقیقة وتنفق التهم وتعود الناس بالخرافة۔ بئس ما زعمت ایها الفاضل فان فی الناس بقایا وان الحق لا یعدم انصارا

إنّ الغایة التی توخّاها المؤلف لیست الا تحقیر الامة العربیة وابداء مساویها ولکن لما کان یخاف ثورة الفتنة، غیر مجری القول ولبّس الباطل بالحق بیان ذلک انه جعل لعصر الاسلام ثلثة ادوار دور الخلفاء الراشدین ودور بنی امیة ودور بنی العباس، فمدح الدور الاول وکذلک الثالث (ظاهرا لا باطنا کما سیجئ) ولما غر الناس بمدحه للخلفاء الراشدین وهم سادتنا وقدوتنا فی الدین، وبمدحه لبنی العباس وهم ابناء عمّ النبی وبهم فخارنا فی بثّ التمدن وابهة الملک، ورأی ان بنی امیة لیس لهم وجهة دینیة فلا ناصر لهم ولا مدافع عنهم تفرّغ لهم وحمل علیهم حملة شنعاء فما ترک سیئة الا وعزاها الیهم وما خلّی حسنة الا واتبزها منهم، ثم لو کان هذا لاجل انهم من آل مروان او لکونهم من سلالة

اُمَيَّة لكنّا فى غِنىً عن الذبِّ عنهم والحماية لهم ولكن كُلّ ذنبهم انهم العرب على صرافتهم ما شأنهم العصبيّة مُطلقًا كما قال

" وعتاز (اى دولة بنى امية) عن الدولة العباسية بانها عربية بحتة" (الجزء الثانى من تمدن الاسلام)

"وجملة القول ان الدولة الاموية دولة عربية اساسها طلب السلطة والتغلب" (الجزء الرابع صفحة ۱۰۳)

عصبية العرب على العجم

اطال المولف واطنب فى اثبات هذه الدعوى فذكر طرفا منه فى الجزء الثانى مدسوسا (انظر صفحة ۱۸) ثم جعل له عنوانا خاصًا فى الجزء الرابع (۵۸)

وهذه نصوصه،

"فان العرب كانوا يعاملونهم معاملة العبيد"

"واذا صلوا خلفهم فى المسجد حسبوا ذلك تواضعًا لله،

"وكانوا يحرّمون الموالى من الكُنى ولا يدعونهم الا بالاسماء والالقاب ولا يمشون فى الصف معهم"

"وكانوا يقولون لا يقطع الصلوٰة الا ثلثة حمارٌ او كلبٌ او مولىً"

"فكان العربى يعدّ نفسه سيدا على غير العربى ويرى انه خُلق للسيادة وذاك للخدمة"

"فتوهم العرب فی نفسهم الفضل علی سائر الامم حتی فی ابدانهم وامزجتهم فکانوا یعتقدون انه لا یحتمل فی سن الستین الا قرشیة ... وان القانج لا یصیب ابدانهم" "ومنعوا غیر العرب من المناصب الدینیة المهمة کالقضاء فقالوا لا یصلح للقضاء الا عربی وحرّموا منصب الخلافة علی ابن الامة ولو کان ابوه قرشیا ... ولا یزوّجون الا عجمیة عربیة ولو کان امیرا وکانت هی من احقر القبایل"،

"وکان الامویون فی ایام معاویة یعدّون الموالی اتباعا وارقّاء وتکاثروا فادرک معاویة الخطر من تکاثرهم علی دولة العرب فهمّ ان یأمر بقتلهم کلّهم او بعضهم"،

اعلم ان للمؤلف فی نفاق باطله اطوارا شتّی،

فمنها تعمد الکذب کما سنری"،

ومنها تعمیمه لواقعة جزئیة،

ومنها الخیانة فی النقل وتحریف الکلم عن مواضعها،

ومنها الاستشهاد بمصادر غیر موثقة مثل کتب المحاضرات والفکاهات وهاک امثلة من کل نوع منها قال، "اذا صلوا خلفهم فی المسجد حسبوا ذلک تواضعا لله وکانوا یحرمون الموالی من الکنی الخ" وکانوا یقولون لا یقطع الصلوة الا ثلثة" الخ،

غيرُ خافٍ على من له المامٌ بتاريخ الفرس والعرب ان الفرس كانت قبل الاسلام تحتقر العرب وتزدري به ولما ارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابه الى كسرى العجم اشمأز وقال عبدي يكتبُ اليّ وكتب يزدجرد الى سعد ابن وقاص فاتح القادسية ان العرب مع شُرب البان الابل واكل الضبِّ بلغ بهم الحالُ الى ان تمنّوا دولة العجم فأُفٍّ لكَ ايتها الدهر الدايرُ، و كانت ملوك حيرة تحتَ امرةِ ملوك العجم۔

ثم لما شرف الله العرب بالاسلام انتصفت العربُ من العجم و استنكفوا من سيادتهم عليهم

وجاءت الشريعة الاسلامية ماحية لكل فخر ونخوة فقال رسول الله فى خطبته الاخيرة فى حجة الوداع، ان لا فضل للعربى على العجمى ولا للعجمى على العربى كلكم ابناء ادم،

وحينئذٍ ارتفع التمايز وتساوى الناس ولكن مع ذلك بقيت فى بعض الناس من كلا الطرفين حزازات كامنة فى صدورهم كانت سببا لحدوث حزبين متقابلين يُسمّى احدهما الشُّعوبيّة وهى التى تحتقر العرب وتر ميه بكل معيبة حتّى ان ابا عبيدة صنّف كتبًا عديدةً يطعن فيها على انساب كل قبيلة من قبايل العرب، والثانى المتعصّبون للعرب وقد عقد العلّامةُ ابن عبدربّه فى كتابه العقد الفريد بابًا فى جمع كلا الطرفين

واقوالها ومعظم ما نقله المولف فی اثبات عصبیة العرب هی اقوال ذکرها صاحب العقد فی هذا الباب کما لوّح به المولف فی ها مش الکتاب۔ واذا تصفحت الکتب یظهر لك ان الاقوال التی نسبها الی العرب عموماً انما هی اقوال شرذمةٍ خاصةٍ موسومة باصحاب العصبیة وصاحب العقد حیثما ذکر هذه الاقوال صدّرها بقوله "قال اصحاب العصبیة من العرب"، وانت تعلم ان هذه العصبة لیست کافّة العرب ولا اکثرها بل ولا عشر معشارها فانك سترٰی انّ هؤلاء اُناس شرذمة مغمورون فی الناس، ثم ان المؤلف ما اقتنع بذلك بل رُبّما نسب قول رجل مُعیّن معلوم الاسم الی العرب عامة،

فقال ناقلاً عن کتاب العقد "وکانوا یکرهون اَنْ یصلوا خلف الموالی واذا صلّوا خلفهم قالوا انّا نفعل ذٰلك تواضعاً لله" فان صاحب العقد نسب هذا القول الی نافع بن جبیر فاخذه المؤلف وجعله قولاً عاماً للعرب وهذه الصنعة اعنی تعمیم الواقعة الجزئیة هی اکبر الحیل التی یرتکبها المؤلف لترویج باطله بل هی قطب رحٰی تالیفه،

قال المؤلف "فادرك معاویة الخطر من تکاثرهم علی دولة العرب فهمّ اَن یامر بقتلهم کلهم او بعضهم" (الجزء الرابع صفحة ۵۹) ان نص معاویة الذی نقله المؤلف بعد هذه العبارة هو هذا "کانّی انظر الی

وثبة منهم على العرب والسلطان فرايت ان اقتل شطرا وادع شطرا" فانت ترى ان الرواية على تقدير صحتها ليس فيها الا ان معاوية راى ان يقتل شطرا منهم ولكن المولف زاد على العبارة وقال ان معاوية همّ ان يامر بقتلهم كلّهم.

قال المؤلف فكانوا يعتقدون ان الفالج لا تصيب ابدانهم" (الجزء الرابع صفحة ٦٠)

استشهد فى هذه الدعوى بطبقات الاطباء كما لوّح فى هامش الكتاب وايم الله لو كنت تقف على عبارة الطبقات لوقعت فى شدّ حيرة من اجتراء المؤلف على قلب الحكاية وتغيير الرواية، ذكر صاحب الطبقات تحت ترجمة عيسى الطبيب الراجح انه نصرانى ان المهدى ضربه فالج فحضر المتطببون ومنهم عيسى صاحب الترجمة فقال المهدى بن المنصور بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس يضربه فالج لا والله لا يضرب احدا من هؤلاء ولا نسلهم فالج ابدا الا ان يبذروا بذورهم فى الروميات والصقلبيات وما اشبههن"

قد نقل صاحب الطبقات بعد الحكاية المذكورة عن يوسف الطبيب ان ابراهيم بن المهدى لما اعتل بعلة شبيهة بالفالج ودعا يوسف وقال له ما العلة عندك فى عرض هذه العلة بى علمت انه كان حفظ

عن امه قول عيسى ابى قريش فى المهدى وولده انه لا يعرض لعقب الفالج الا ان يبذر وا بزورهم فى الروميات وانه قد آمل ان يكون الذى به فالجا لا عارض الموت فقلت لا اعرف لانكارك هذه العلة معنى اذا كانت أمك التى قامت عنك دنبا وندية ودنبا وندا شد برداً من كل ارض الروم فكانه تفرج الى قولى وصدقنى واظهر السرور،

فانت ترى ان الظن ببراءتهم عن الفالج انما كان مبناه حر ارض العرب وليس له اذن مساس بشرف النسل ولو كان كما يتبادر الى الذهن من علاسماء آباء المهدى فهو يختص بعايلة النبى عليه السلام لا يفهم منه العموم مطلقا ولذلك لما ذكر لابراهيم (وهو ابن الخليفة مهدى) ان أمه من دنبا وند وهو اشد برداً من ارض الروم ذهب عنه استغرابه عروض الفالج له،

فانظر كيف كان مجرى الحكاية فغيرها المؤلف وارتكب لذلك خيانات تترى ثم ان هذا قول عيسى الطبيب ولا يدرى انه عرب ام لا وغالب الظن انه نصرانى وهب انه عرب فهو رجل من حاشية الدولة يريد التزلف الى الخليفة والتملق له فهل يكون قوله قول العرب كافة

قال المؤلف ومنعوا غير العرب من المناصب الدينية المهمة كالقضاء فقالوا لا يصلح للقضاء الا عربى (الجزء الرابع صفحة ٦) واسند هذه الرواية الى ابن خلكان

حقيقة هذا القول انّ الحجّاج لمّا اسر سعيد بن جبير التابعي المشهور وكان من الموالي قال له ممتنًا عليه اما جعلتك اماما للصلوة في الكوفة ولم يكن في الكوفة الا العرب قال ابن جبير بلى ثم قال له الحجّاج اليس انّي لما اردت ان اولّيك قضاء الكوفة ضجّ العرب وقالوا لا يصلح للقضاء الا عربيّ وقد ذكر الرواية ابن خلكان بطولها ولا يخفى عليك ان كوفة لم يكن اذ ذاك فيها الا العرب وظاهر ان القضاء لا يصلح له الا من كان عارفا بعوايد الامة مطلعا على خصايصهم وكيفية تعاملهم فيما بينهم وسعيد بن جبير لم يكن من العرب ولو كان استنكاف اهل كوفة من قضايه لاجل كونه من الموالي استنكفوا من امامته للصلوة فان الامامة اعظم شرفا وارفع محلا من القضاء وهذا ابو حنيفة كان من الموالي واراد وان يولّوه القضاء في عصر بني امية فامتنع ولم يرض بذلك وقد ذكر الواقعة ابن خلكان مفصّلا[1]

قال المؤلف "وحرّموا منصب الخلافة على ابن الامة ولو كان قرشيا" نعم ولكن لم يكن هذا للاستهانة به قال الاصمعي كانت بنو امية لا يبايع لبني امهات الاولاد فكان الناس يرون ان ذلك للاستهانة بهم ولم يكن لذلك ولكن لما كانوا يرون ان زوال ملكهم على يد ابن ام ولد" اما ما استدلّ به المؤلف من قول هشام بن عبد الملك لزيد بن علي

[1] انظر الجزء الثاني من العقد الفريد طبع مصر صفحة ٣٠٠

انك ابن امة ولذلك لا تصلح للخلافة فقدر له عليه زيدٌ وقال ان اسماعيل كان ولد الجارية وكان سيد البشر محمد من سلالته ومن المعلوم ان زيدا وهو ابن الامام زين العابدين ارفع شانا واعظم محلا واطيب اروما واصدق قولا من هشام ثم لو كان هذا الامر حقا ما كانوا يولّون الخلافة يزيد بن الوليد الاموي ومروان الحمار وهما ابنا امة،

ولما فرغنا عن ابداء شطرٍ من خيانات المؤلف ليكون كالعنوان على دابه في تاليفاته حان لنا ان نحقق اصل المسئلة اى ان العجم والموالى هل كانوا اذ ذاك ساقطين مرذولين يعاملون معاملة العبيد في عصر بني امية كما يدعيه المؤلف او كانوا يحل من الشرف والعزة يعترف لهم العرب بالفضل والسودد ويوفّى لهم او في قسطٍ والملل حق اعلم ان البلاد التي كانت عواصم الاقاليم وقواعدها في عصر بني امية هي مكة والمدينة والبصرة والكوفة واليمن ومصر والشام والجزيرة وخراسان وكان لكل هذه الاصقاع امامٌ يقودهم ويسود عليهم وهذه اسماءهم،

مكة المشرفة،	عطاء بن ابي رباح وهو استاذ الامام ابي حنيفة
يمن	طاؤس،
الشام	مكحول،

مصر،	يزيد بن ابی حبيب،
الجزيرة،	ميمون بن مهران،
خراسان،	ضحاك بن مزاحم،
البصرة	الامام الحسن البصری،
الكوفة،	ابراهيم النخعی،

وكل هؤلاء غير ابراهيم النخعی كانوا الموالی وبعضهم ابناء الاماء ومع كونهم اعجاماً وكونهم اولاد الاماء كانوا سادة الناس وقادتهم تذعن لهم العرب وتختر مهم خلفاء بنی امية وولاة الامر،

فاما عطاء بن ابی رباح فمع كونه ابن سندية كان شيخ الحرم واليه المرجع فی الفتوی وعليه المعوّل فی المسايل، قال ابن خلكان فی ترجمته قال ابراهيم بن عمرو بن كيسان اذكرهم فی زمان بنی امية يامرون فی الحج صايحا يصيح لا يفتی الناس الا عطاء بن ابی رباح، وهل يمكن ان ينادی بمثل ذلك من غير رضی الخلفاء واما طاؤس فلما قضی نحبه بمكة ازدحم الناس فی جنازته حتی تعذر الصلوة عليه وكان ابراهيم بن هشام اذ ذاك واليا علی مكة فاستعان بالشرطة ومشی فی جنازته عبد الله ابن الامام حسن عليه السلام واضعا نعشه علی عاتقه وصلّی عليه الخليفة هشام بن عبد الملك الاموی ذكر كل هذا العلامة

ابن خلکان فی ترجمۃ طاؤس فھل یکون منزلۃ اعظم من ذلک،

واما مکحول الشامی فاحد الائمۃ المتبوعین وقال الزھری لعلماء اربعۃ فلان وفلان ومکحول واما یزید بن ابی حبیب فھو الذی ارسلہ عمر بن عبد العزیز لیفقہ الناس فی مصر ویفیتھم فی المسایل وھو المعلم الاول لھم کما صرح بذلک السیوطی فی حسن المحاضرۃ واما میمون بن مھران فمع فضیلتہ وسیادتہ کان امیرا علی الخراج فی الجزیرۃ کما صرح بہ ابن قتیبۃ فی المعارف اما حسن البصری فحدث عن البحر ولا حرج، یذعن لہ الملوک والسادۃ والقواد وعلیہ المعول والیہ المنتھی،

ذکر السخاوی فی شرح الفیۃ الحدیث للعراقی (طبع لکھنؤ صفحہ ۲۹۹ و ۳۰۰) ان ھشاما قال للزھری من یسود اھل مکۃ قال عطاء قال بمساد ھم قال بالدیانۃ والروایۃ قال ھشام نعم من کان ذا دیانۃ حقت الریاسۃ لہ ثم سأل عن یمن قال طاؤس وکذلک سال عن مصر والجزیرۃ وخراسان والبصرۃ والکوفۃ فاخذ الزھری یعد اسماء سادات ھذہ البلاد وکلما سمی رجلا کان ھشام یسأل ھل ھو عربی ام مولی وکان یقول الزھری مولی الی ان انتھی علی النخعی وقال انہ عربی فقال ھشام الان فرجت عنی واللہ لیسودن الموالی العرب ویخطب لھم علی المنابر والعرب تحتھم،

ان التابعین لھم اعلی محل فی تاریخ الاسلام۔ ورؤسھم

سعید بن جبیر وھو اسود وقد ولاہ حجاج بن یوسف امامۃ الصلوٰۃ فی الکوفۃ کما ذکرہ ابن خلکان فی ترجمتہ والکوفۃ اذ ذاک جمجمۃ العرب وقبۃ الاسلام وھل یصح بعد ذلک دعوی المؤلف ان العرب کانت تستنکف عن الصلوٰۃ خلف الموالی،

وھذا سلیمان الاعمش استاد الثوری کان عبدا عجمیا وکان بمنزلۃ من العز والشرف انہ لما کتب الیہ الخلیفۃ ھشام بن عبد الملک ان یکتب لہ مناقب عثمان ومساوی علی اخذ کتاب ھشام والقمہ عنزا کان عندہ وقال للرسول قل لھشام ھذا جواب کتابک (ابن خلکان ترجمۃ الاعمش)

وھذا حماد الراویۃ الذی دوّن المعلقات ولہ المکانۃ الکبری فی الادب والشعر کان عبدا اسود وکانت ملوک بنی امیۃ تقدمہ وتوشرہ وتستزیرہ کما ذکرہ ابن خلکان،

وھذا سالم بن عبد اللہ بن عمر کان ابن امۃ ولما دخل الخلیفۃ ھشام بن عبد الملک المدینۃ ارسل الیہ یدعوہ فاعتذر فدخل علیہ ھشام ووصلہ بعشرۃ الاف ثم لما حج ورجع کان سالم اذ ذاک مریضا فذھب لعیادتہ ولما توفی صلی علیہ وقال لا ادری بای الامرین انا اسر بحجتی ام بصلوتی علی سالم، لہ

لہ عقد الفرید ترجمۃ ھشام بن عبد الملک

النص القاطع في هذا البحث ذكر ابو العباس المبرد في كامله ما هو قول فصل في هذا الباب ابدع مجالا للريب - ولا متسعا للشك، قال

" وانما ذكرنا هذا لتقدم قريش في اكرام موليها، ولي رسول الله صلى الله عليه وسلم جيش مؤتة زيدا مولاه... وامر رسول الله اسامة بن زيد فبلغه ان قوما قد طعنوا في امارته فقال لقد طعنتم في امارة ابيه وقد كان لها اهلا وان اسامة لها لاهل وقالت عائشة لو كان زيد حيا ما استخلف رسول الله غيره وقال عبد الله بن عمر لابيه لم فضلت اسامة علي وانا وهو سيان فقال كان ابوه احب الى رسول الله من ابيك وكان احب الى رسول الله منك واوصى رسول الله بعض ازواجه لتميط عن اسامة اذى من مخاط او لعاب فكانها تكرهته فتولى منه ذلك رسول الله.... وكان ادى الى بني قريظة مكاتبة سلمان فكان سلمان مولى رسول الله فقال علي بن ابي طالب رض سلمان منا اهل البيت، ويروى ان المهدي نظر اليه وبيد عمارة ابن حمزة في يده فقال له رجل من هذا يا امير المومنين فقال اخي وابن عمي عمارة بن حمزة فلما ولى الرجل ذكر ذلك المهدي كالمازح لعمارة فقال لعمارة انتظرت ان تقول "ومولاي" فانقض والله يدك من بين يدي فتبسم امير المومنين المهدي ولم يكن الاكرام للموالي في جفاة العرب بزعم الليثي انه كانت بين جعفر بن سليمان وبين مسمع بن كردين منازعة وبين يدي مسمع مولى له، له بهاء ورواء ولسن فوجه جعفر مولى له لينازعه ومجلس مسمع حافل فقال ان انصفني والله جعفرا انصفته وان حضر حضرت معه وان عند عن الحق عندت عنه وان وجه الى مولى مثل هذا واوما الى مولى جعفر فقال مولى مثل هذا عاضا

لما يكره وتجهت اليه واومأ الى مولاه فعجب اهل المجلس من وضعه مولاه ذلك الذى تبهأ بمثله العرب وقيل الرجل لابيه والمولى لموالية وفى بعض الاحاديث ان المعتق من فضل طينة المعتق ويروى ان سلمان اخذ من بين يدى رسول الله تمرة من تمر الصدقة فوضعها فى فيه فانتزعها رسول الله فقال يا ابا عبد الله انما يحل لك من هذا ما يحل لنا ويروى ان رجلا من موالى بنى مازن يقال له عبد الله بن سليمان وكان من جلة الرجال نازع عمرو بن هدّاب المازنى وهو فى ذلك الوقت سيد بنى تميم قاطبة فظهر عليه المولى حتى اذن له فى داره فادخل الفعلة دار عمرو فلما قلع من سطحه سافا لكف عنه ثم قال يا عمر قد اريتك القدرة وسأريك العفو وقد كان فى قريش من فيه جفوة ونبوة كان نافع بن جبير احد بنى نوفل بن عبد مناف اذا مر عليه بالجنازة سأل عنها فان قيل قريش قال اقواماه وان قيل عربى قال واماداه وان قيل مولى وعجمى قال اللهم هم عبادك فاخذ منهم من شئت وتدع ويروى ان ناسكا من بنى الهجيم بن عمرو بن تميم كان يقول فى قصصه اللهم اغفر للعرب خاصة وللموالى عامة فاما العجم فهم عبيدك ولا امر لك وقيل لاصمعى قال سمعت اعرابيا يقول لاخر اترى هذه العجم تنكح نساءنا قال ارى ذلك والله بالاعمال الصالحة قال توطأ والله رقابنا قبل ذلك" انتهى (صفحة ١٠، و١١، و١٢، طبع اوريا)

تدل هذه النصوص على امور،

١- ان اكرام الموالى كان من دين العرب عامة وقريش خاصة-

٢- لم يكن الاكرام للموالى واكثرهم العجم عند جفاة العرب ونباتهم كما لم يكن الاكرام للعرب عند الشعوبية واكثرهم العجم

٣- كان نافع بن جبير وامثاله من جفاة العرب فلا يصح الاستدلال باقوالهم على

ولو اخذنا فى تعداد امثال هذه الوقايع لطال الكلام ومل الناظرون ويظهر مما مرّ عليك ان الموالى كانوا فى ايام بنى امية باعلى محل من الشرف والمكانة وكانت العرب تذعن لهم وتقدّمهم وتقتدى بهم وترفع شانهم، فهل يصح قول المؤلف بعد ذلك ان الموالى وابناء الاماء كانوا فى عصر بنى امية فرزولين ساقطين يُزدرى بهم ولا يقام لهم وزنٌ وكان العرب وبنو امية يعاملونهم معاملة العبيد،

مثالب بنى امية | المقصد الذى جعله المؤلف نصب عينه ومرمى غايته هو ان الامة العربية اذا بقيت على صراقتها فهى جامعة لجميع اشتات الشر اى الجور والقسوة والهمجية وسفك الدماء والفتك بالناس ولكن لما كان لا يقدر على اظهار هذا المقصد تصريحا احتال فى ذلك فغمّض المذهب وجعل الكلام طيّب الظاهر وذلك بان قسّم عصر الاسلام الى ثلثة ادوار. فمدح سياسة الخلفاء الراشدين وقال بعد مدحها.

على ان سياسة الراشدين على الاجمال ليست مما يلايم طبيعة العمران او تقتضيه سياسة الملك وانما هى خلافة دينية توفّقت الى رجال يندر اجتماعهم فى عصر. فاهل العلم بالعمران لا يرون هذه السياسة تصلح لتدبير الممالك فى غير ذلك العصر العجيب وان انقلاب تلك الخلافة الدينية الى الملك السياسى لو لم يكن عنه بد (الجزء الرابع، صفحه ٣٠ و ٣١)

فاثبت بذلك ان سياسة الخلفاء الراشدين ليست فيها اسوة للناس وانها من مستثنيات الطبيعة اما دور العباسيين فمدحه ولكن لا لاجل انه دولة عربية بل لكونها فارسية مادة وقواما موتلفا ونظاما وصرح بذلك فقال"

دعونا هذا العصر فارسيا مع انه داخل في عصر الدولة العباسية لان تلك على كونها عربية من حيث خلفاءها ولغتها ودياناتها فهي فارسية من حيث سياستها وادارتها لان الفرس تصرفوها وايدوها ثم هم نظموا حكومتها وادارو شيونها ومنهم وزرائها وامراؤها وكتابها وحجابها، (الجزء الرابع صفحه ١٠٦)

ثم اشار في غير موضع ان الدولة العربية الناذجة انما هي دولة بني امية فقال،

"وجملة القول ان الدولة الاموية دولة عربية" (الجزء الرابع صفحه ١٠٢)

"وظل العرب في ايام بني امية على بداوتهم وجفائهم وكان خلفاءها يرسلون اولادهم الى البادية لاتقان اللغة واكتساب اساليب البداوة وآدابهم (الجزء الرابع صفحه ٦١)

ولما اثبت ان خلافة الراشدين لم تكن يلايم النظام الطبعي وان دولة بني العباس دولة فارسية وان الباقي على صرافتها هي الدولة الاموية

اخذ یعدد مثالب بنی امیة تحت عنوانات مستقلة منها الاستخفاف بالدین واهله ومنها الاستهانة بالقرآن والحرمین ومنها الفتك والبطش ومنها قتل الاطفال ومنها خزانة الرؤس وانی فی مطاوی هذه العنوانات من الافك والاختلاق والتحریف والتبدیل بما تجاوز الحد وخرج عن طور القیاس والآن اذکر نبذًا منها واکشف عن جلیة حالها،

الاستهانة بالقرآن والحرمین قال المؤلف تحت هذا العنوان،

"اما عبدالملك فکان یری الشدة ویجاهر بطلب التغلب بالقوة والعنف ولو خالف الدین، لانه صرح باستهانة الدین منذ ولی الخلافة ... ذکروا انه لما جاءه بخبر الخلافة کان قاعدًا والمصحف فی حجره فاطبقه وقال هذا آخر العهد بك او هذا فراق بینی وبینك فلا غرو بعد ذلك اذا اباح لعامله الحجاج ان ینصب بالکعبة المنجنیق وان یقتل ابن الزبیر ویحتز راسه بیده داخل مسجد الکعبة ... وظلوا یقتلون الناس فیها ثلاثا وهدموا الکعبة وهی بیت الله عندهم واوقدوا النیران بین احجارها واستارها (الجزء الرابع صفحة ۷۸ و ۷۹)

الحکایة علی الاجمال ان ابن الزبیر ادعی الخلافة فملك الحرمین والعراق وکاد یغلب علی الشام وکان امره کل یوم فی ازدیاد وبازائه بنو امیة فی الشام فلما تولی عبدالملك الخلافة ارسل الحجاج الی ابن الزبیر فحاصره ولاذ ابن الزبیر

بمكة فنصب الحجاج المنجنيق على الزيادة التي كان زادها ابن الزبير كما يجي تفصيله
يعرف كل من له ادنى المام بالتاريخ ان الحجاج ما اراد الا قتال ابن الزبير
ولكونه لائذًا بالكعبة اضطر الى نصب المنجنيق على الكعبة ولكن مع ذلك تحرز
عن رمي الكعبة فحوّل وجهها الى زيادة ابن الزبير فانظر كيف غيّر المؤلف مجرى
الحكاية فصدّر الباب بالاستهانة بالقرآن والحرمين ثم ذكر ان عبد الملك قال
للقرآن هذا فراق بيني وبينك وانه اباح للحجاج ضرب الكعبة بالمنجنيق وهدم
الكعبة وايقاد النيران بين استارها فالناظر في عبارته يتوهّم بل يستيقن ان
عبد الملك تفرّغ من بدء الامر للاستهانة بالدين والقرآن والحرمين وجعل
الاستهانة نصب عينه ومرمى غايته وقتال ابن الزبير كان امّا لانه دافع عن مكة او
لكونه ايضا من جنس الاستهانة بالحرم اما تفصيل الواقعة وتعيين بادئ الظلم
فهو ان ابن الزبير لما استولى على الحرمين اخرج بني امية من المدينة فخرج مروان
وابنه عبد الملك وهو عليل مجدّر فاستولى على الشام وصدّر من ابن الزبير
افعال نقموا عليه لاجلها فمنها انه تحامل على بني هاشم واظهر لهم العداوة والبغضاء
حتى انه ترك الصلوة على النبي في الخطبة ولما سألوه عن هذا قال ان للنبي اهل
سوء يرفعون رؤسهم اذا سمعوا به[1] ومنها انه هدم الكعبة ومعلوم ان هدمها لم يكن
الا لرمّتها واصلاحها ولكن لم يكن هذا مألوفا للناس ولذلك تحرز النبي عليه لسلام

[1] اليعقوبي طبع اوربا صفحة ۳۱۱ من الجزء الثاني [2] الجزء الثاني من اليعقوبي صفحه ۳۱۱۔

عن ادخال الحطيم فى الكعبة فاتخذ الحجاج هذه الامور وسيلة لإغراء الناس على
ابن الزبير ولعل ابن الزبير كان مضطرا الى هذه الاعمال ولكن من شريطة العدل
ان نوفى كل احد قسطه من الحق فاذا اعتذرنا لابن الزبير فعبد الملك احق منه
اعتذارا فان ابن الزبير هو البادئ والبادئ اظلم ويظهر من هذا ان عبد الملك
ما اراد الحط من شان الكعبة ومس شرفها ولكن اضطر الى قتال ابن الزبير فوقع
ما وقع عرضا غير مقصود بالذات ولذلك لما نصب الحجاج المناجيق على الكعبة
حوّلها عن الكعبة وجعل الغرض الزيادة التى كان زادها ابن الزبير صرح بذلك
العلامة البشارى فى احسن التقاسيم ثم ان من مسايل الفقه ان البغاة اذا تحصنوا
بالكعبة لا يمنع هذا عن قتالهم ولذلك امر النبى فى وقعة الفتح بقتل احدهم وهو
متعلق باستار الكعبة وابن الزبير كان عند اهل الشام من البغاة والمارقين عن الدين
ولو كان ارادا لحجاج الاستهانة بالحرم فما كان مراده من رمّته واصلاحه
بعد قتل ابن الزبير ومعلوم ان تعمير الحجاج هو اليوم كعبة الاسلام وقبلة المسلمين كافة
اما قول عبد الملك للقران هذا فراق بينى وبينك، فحقيقته ان
عبد الملك كان قبل الخلافة ناسكا منقطعا الى العبادة لا يشتغل بشئ من الدنيا
قال نافع ما رايت فى المدينة اشدّ نسكا وعبادة من عبد الملك ولما سألوا ابن
عمر الى من نرجع فى الفتوى بعدك قال ولدُ المروان وكان يقول ابن الزناد الفقهاء
فى المدينة سبع احدهم عبد الملك وقال الامام الشعبى ما جالست احدا الا وجدت

علیہ لفضل الاعبد الملک بن مروان، ذکر کل ھذہ الاقوال العلامۃ السیوطی فی تاریخہ للخلفاء فلما جاءتہ الخلافۃ وھو یقرء القرآن تصور خطارۃ الامر وان مثل ھذا العبأ لا یمکن تحملہ الا المنقطع الیہ فقال تحسرا ھذا اخر العھد بک ای الان لا یمکن الانقطاع الی العبادۃ وقراءۃ القرآن کما کان دابی وولائی ولیس ھذا علی سبیل الاستھانۃ بالدین مطلقا فانا نری اشتغال عبد الملک بالفرائض والسنن فیما بعد فھو یصوم ویصلی ویحج قال الیعقوبی فی تاریخہ واقام الحج للناس فی ولایتہ سنۃ ھ الحجاج بن یوسف وسنۃ وسنۃ الحجاج ایضا وسنۃ عبد الملک بن مروان وسنۃ ابان بن عثمان بن عفان، وسنۃ ابان ایضا وسنۃ وسنۃ وسنۃ ابان ایضا وسنۃ سلیمان بن عبد الملک (وسرد باقی السنوات فترکناھا) وعبد الملک ھو الذی کسا الکعبۃ الدیباج فھل ھذا صنیع من یرید الاستھانۃ بالحرم،

قال المولف،

"ویحتز راسہ بیدہ داخل مسجد الکعبۃ" (الجزء الرابع صفحۃ ۹۷)

استند المؤلف فی ھذہ الروایۃ بالعقد لابن عبد ربہ والاستناد بمثل ھذہ الکتب فی مثل ھذہ الوقایع ھو من احدی حیل المولف المعتادۃ بھا فانت تعلم ان حادثۃ قتل ابن الزبیر مذکورۃ فی الطبری وابن الاثیر وغیرھا من المصادر التاریخیۃ المتداولۃ الموثوقۃ بھا وعلیھا المعوّل والیھا المرجع لکن لما لم یکن کیفیۃ الحادثۃ فی ھذہ الکتب وفق ھوی المؤلف اعرض عن ھذہ کلھا

وتثبت بكتاب هو فى علاد المحاضرات وانا يرجع الى امثاله اذا لم يكن فى الباب مستند غيره ومتى ما لم يخالف الاصول، والمذكور فى الطبرى وغيره ان عبد الله بن الزبير اصيب فى الجون وقتل هناك قتله رجل من المراد وما احتز راسه داخل الكعبة،

قال المؤلف "وهدموا الكعبة"،

قدمنا ان الكعبة لم تكن غرضا للحجاج وانما كان نصب المناجيق على الزيادة التى زادها ابن الزبير ولما كانت متصلة بالكعبة نال الاحجار من الكعبة ولكن بعد ما استتب القتال اول ما فعله الحجاج كان امره بكنس المسجد الحرام من الحجارة والدم كما نص عليه ابن الاثير فهل كنس المسجد الحرام من الحجارة والدم وهدم الكعبة شئ واحد،

اما ما نقل المؤلف عن كفر الوليد وانه امر بالمصحف فعلقوه ولهذا القوس والنبل وجعل يرميه حتى مزقه وانشد،

اتوعد كل جبار عنيد ... فها انا ذاك جبار عنيد

اذا لاقيت ربك يوم حشر ... فقل يا الله مزقنى الوليد

ونقل هذه الرواية عن الاغانى فهى من خرافات الاغانى ومعلوم ان صاحب الاغانى شيعى ديانته شنان بنى امية والحط منهم اما الابيات فاثر التوليد ظاهر عليها ومن له ادنى مسكة بالادب يشهد ان نسجها غير نسج الاوائل، فاما جهابذة المحدثين المرجوع اليهم فى نقد الروايات والذين

قولهم وفصل فی هذا الباب فیجب ان امثال هذه الروایات المختلفة وقال العلامة **الذهبی** وهو راس الحدیث ومرجع الروایة "لو یصح عن الولید کفر ولا زندقة بل اشتهر بالخمر والتلوط فخرجوا علیه لذلك" (تاریخ الخلفاء للسیوطی ترجمة الولید)

ثم ان هناك امرا آخر وهو ان الناقم علی **لولید** وقاتله هو خلیفة اموی، فکیف ینسب استهانة الدین الی خلفاء بنی امیة عامتهم ثم ان هذا الذی عزا الیه صاحب الاغانی الاستهانة بالقرآن قد ذکر له صاحب العقد ما ینبئ عن تعظیمه للقرآن وتفخیمه شانه وحث الناس علی حفظه وتعهده قال صاحب العقد انه شکا رجل من بنی مخزوم دینا لزمه فقال (الولید) اقضیه عنك ان کنت لذلك مستحقا قال یا امیر المومنین کیف لا اکون مستحقا فی منزلتی وقرابتی قال قرأت القرآن قال لا قال فادن منی فدنا منه فنزع العمامة عن راسه بقضیب فی یده فقرعه قرعة وقال لرجل من جلسائه ضم الیك هذا الغلام ولا تفارقه حتی یقرء القرآن فقام الیه اخر فقال یا امیر المومنین اقض دینی فقال له اتقرء القرآن قال نعم فاستقراه عشرا من الانفال و عشرا من براءة فقرء فقال نعم نقضی دینك وانت اهل لذلك" فانت تری ان الولید یعد من لا یقرء القرآن علجا والمولف یعد الولید علجا،

فاما ما ذکره المولف من اقوال **الحجاج** و**خالد القسری** انهما کانا

لیلة الجزء الثانی صفحة ۳۴

يفضّلان الخلافة على النبوة فمع ان اكثر هذه الاقوال مأخوذ من العقد الفريد وهو من كتب المحاضرات لسنا نحتاج الى الذب عن الحجاج وخالد فانهما من اشرار الامة حقًّا ولكن كم لنا من امثال هؤلاء الملاحدة في الدولة العباسية كالجواردة وابن الراوندي الذي عمل كتابا سمّاه فيه على القرآن وسمّاه بالدامغ فاذا كان العباسية غير مسئولين عن اوزار هؤلاء عند المؤلف فكذلك بنو امية وان كان عبد الملك والوليد يرتضيان بسوء اعمال الحجاج فمعلوم ان غيرهما من بني امية كانوا ناقمين عليه كافة حتى ان هشاما قال "هل الحجاج استقرّ في جهنم او يهوي الى الان" ولما وصل هشام ان خالدا القسري استحقّ بامرءة سومنة عزله عن الامارة وسجنه كما ذكره ابن خلكان،

والحاصل ان المؤلف ان خص رجلًا او رجلين من بني امية بالطاعن لا اعترض به ولكن من سوء مكيدة المؤلف انه يجعل الفرد جماعةً والقدّ توءمًا والنادر عامًا، والشاذّ مطردا۔

جور بني امية سمنا بظالم بخت نصر واحطنا علمًا بشنايع چنگيز خان واطّلعنا على ما جنته ايدى التتر فوالله (لو صدق المولف) هم كانوا اشد قسوة ولا افظع اعمالا ولا اسفك دماءً ولا اجمع لانواع الفتك من بني امية،

قال المولف حتى في ايام معاوية فانه ارسل بسر بن ارطاة ×

وارسل معه جيشا ويقال انه (اى معاوية) اوصاهم ان يسيروا

فی الارض ویقتلوا کل من وجدوہ من شیعۃ علیؑ ولا یکفوا ایدیھم عن النساء والصبیان (الجزء الرابع صفحۃ ۸۲)

قبل ان اکشف عن جلیۃ الامر لابدّ من تقدیم مقدمۃ، وھی ان المؤلف مدح بنی العباس وجعل اعمالھم مناطا للعدل ودلالۃ علی الرفق فقال،

ولا غرابۃ فیما تقدم من عمران البلاد فی ظل الدولۃ العباسیۃ فان العدالۃ توطد دعائم الامن واذا امن الناس علی ارواحھم وحقوقھم تفرغوا للعمل فتعمر البلاد ویرفہ اھلھا ویکثر خراجھا (الجزء الثانی صفحۃ ۸۱)

وعلی ھذا فاذا وجدنا بنی امیّۃ معادلین لبنی العباس فی جمیع اعمالھم سواءً بسواءٍ کان اختصاصھم بالذم دون بنی العباس جورًا فاحشا ومیلا عظیما، ثم ان ھناک امرا اخر وھو ان المورخین باسرھم کانوا فی عصر بنی العباس ومن المعلوم انہ لم یکن یستطیع احد ان یذکر محاسن بنی امیۃ فی دولۃ العباسیین فاذا صدر من احدٍ شیءٌ من ذلک فلتۃ کان یقاسی قائلھا انواعا من الھتک والایذاء ووخامۃ العاقبۃ وکم لنا من امثال ھذہ فی اسفار التاریخ، ومع اننا نفخر بان مورخی الاسلام کانوا اصدق الناس روایۃ واجرءھم علی اظھار الحق ما کان یمنعھم عن بیان الحقیقۃ سلطۃ ملکٍ ولا ھیبۃ جائرٍ ولکن مع ذلک فرق بین تعمد الکذب والسکوت عن الحق ولذلک نعتقد انھم وما قالوا شیئا افتراءً علی بنی امیۃ ولکن ان قلنا انھم کثیرا ما سکتوا عن محاسنھم فذلک شیء لا یدفع ولیس فیہ غضّ منھم۔

اما بنو العباس فكانوا في عصرهم ولاة البلاد وملاك رقاب الناس - رضاهم الحيوة وسخطهم الموت، فالوقيعة فيهم والاخذ عليهم ما كان يمكن الا بعد مخاطرة النفس والاقتحام في الهلاك ونصب النفس للموت،

رجعنا الى قول المولف ان معاوية امر بقتل النساء والصبيان، اعلم ان هذه الواقعة اي ارسال بسر ابن ارطاة الى شيعة علي من اشهر الوقايع المذكورة في سايركتب التواريخ وليس في احد منها قتل النساء والصبيان بل فيها ما يخالف هذه الرواية قال المورخ اليعقوبي ووجه معاوية يسر بن ارطاة وقيل بن ارطاة العامري من بني عامر بن لوي في ثلثة الاف رجل فقال له سر حتى تمر بالمدينة فاطرد اهلها واخف من مررت بها وانهب مال من اصبت له مالا من لم يكن دخل في طاعتنا واوهم اهل المدينة انك تريد انفسهم وانه لا براءة لهم عندك * * حتى تدخل مكة ولا تعرض فيها لاحد وارهب الناس فيما بين مكة والمدينة * * ثم امض حتى تاتي صنعاء فان لنا بها شيعة وقد جاءني كتابهم فخرج بسر فجعل لا يمر بحي من احياء العرب الا فعل ما امره معاوية (اليعقوبي طبع اوربا صفحة ٢٣١ من الجزء الثاني)

فترى في هذه العبارة انه لم يكن هناك الا تخويف وتهديد واما مر لما راى المولف ان المصادر التاريخية الموثوقة بها لا توجد فيها ما يوافق هواه جنح الى الاغاني ونقل امر معاوية بقتل النساء والصبيان ثم اعتذر عن معاوية بان المظنون

خلاف ذلك لحلمه ودهائه والظن ان معاوية اطلق يد بسر ولم يعين له حدودًا وكان بسر سفاكًا للدماء فلم يستثن طفلا ولا شيخا"

قد قلنا ان الاغاني من كتب المحاضرات فاذا كان الامر هينا وكان الحديث فكاهة او تسلية من كد العمل الى استراحة فلا باس به وبامثاله اما اذا كان الامر ذا بال وكان الواقعة معترك الاختلاف ومتعفر الاهواء رافعا لشانٍ او هادمًا لاساسٍ فامثال هذه الكتب لا يوذن لها ولا يلتفت اليها مطلقا،

ثم ان الرجل (اى صاحب الاغاني) شيعيٌّ اذا جاءه شئٌ مما يشين معاوية ويدنّسه وجد من نفسه ارتياحًا الى قبوله ولو كان من اوهن الاحاديث واكذبها،

نعم ان بسر بن ارطاة قتل طفلين ولكن القتل لم يتجاوز الاثنين فاين هذا من قول المولف،

"وكان بسر سفاكا للدماء فلم يستثن طفلا ولا شيخا"

قال المولف "فاذا كان هذا حال العمال فى ايام معاوية مع حلمه وطول اناته فكيف فى ايام عبد الملك مع شدته وفتكه فهل يستغرب ما يقال عن فتك الحجاج وكثرة من قتلهم صبرًا ولو كانوا ١٢

(الجزء الرابع صفحة ٨٣)

نعم قتل الحجاج مائة الف او مائتين ولكن اين هذا من صنيعة ابى مسلم

الخراسانى القايم بدعوة بنى العباس المؤسس لدولتهم فانه قتل صبرا بعد حرب ما يبلغ عدده ستمائة الف وقد اعترف به المولف فى هذا التاليف نفسه (الجزء الرابع صفحة ١١٢) والمولف يحتال لذلك عذرا ويحسبه من طبيعة السياسة فالحجاج احق بالعذر واجدر بالعفو فان الحجاج عربٌ قحٌ طبعه الجفاء والقسوة اما ابو مسلم فعجمىٌ تربّى فى حجر التمدن وغذى بلبان الظرف ودمانة الاخلاق،

امّا قوله "عبد الملك كان اشد وطاة منه" (اى من الحجاج) فلم يات عليه بشاهد غير غدره بعمرو بن سعيد واين هذا من غدر المنصور العباسى بابى مسلم الذى هو ربُّ الدولة العباسية ولولاه لما قامت للعبّاسيّين قايمة ولا كان لهم ذكرٌ ولكنذاك غدر المنصور بابن هبيرة،

وغاية ما يقضى منه العجب ان المولف بعد ما ذكر فتك بنى امية بقوله "وقد نفعتهم هذه السياسة (اى سياسة الفتك) فى تاييد سلطانهم ثم قال "صارت سُنةً فى من ملك بعدهم من بنى العباس وغيرهم" وانت تعلم ان المولف يبرّئ ساحة العباسية من الجور والظلم فضلاً عن الفتك فهل هذا تناقضٌ فى القول او اراد بهم نفعا فضرّهم من حيث لا يعلم لا والله لا هذا ولا ذاك بل هى من مكايد المولف التى لا يهتدى اليه الا فطنٌ خبير بطوية الرجل وكامن ضغنه،

جور العمال ذكر المولف تحت هذا العنوان انواعًا من الجور والشدة الصادرة من عمال بنى امية ونحن نذكر بعضا منها مع كشف الحقيقة،

قال يذكر جور العمال "واذا اتى احدهم بالدراهم ليودي ما في خراجه يقتطع الجابي منها طايفةً ويقول هذا رواجها وصرفها" (الجزء الثاني صفحة ٢٢ واستند في الهامش بكتاب الخراج لابي يوسف صفحة ٦٢)

ايها الفاضل المولف! اليس لك وازع من نفسك، اليس لك رادع من ديانتك. اتجترئ على مثل هذا الكذب الظاهر والمين الفاحش جهرة فان القاضي ابا يوسف ما تكلم في شان عمال بني امية ببنت شفة وانما ذكر عن عمال هرون الرشيد واساءتهم العمل في جباية الخراج وكتاب الخراج لابي يوسف بين ايدينا وقد طبع في مصر وتداولته الايدي وتناقلته الالسن،

قال المولف،

"وفي كلام القاضي ابي يوسف في عرض وصيته للرشيد بشان عمال الخراج ما يبين الطرق التي كان اولياك الصغار يجمعون الاموال بها فقال "بلغني انه قد يكون في حاشية العامل والوالي جماعة منهم لريبه حرمةٌ ومنهم من له اليه وسيلة ليسوا بابرارٍ ولا صالحين يستعين بهم ويوجههم في عمالة يقتضي بذلك الذمامات فليس يحفظون ما يوكلون بحفظه ولا ينفقون من يعاملونه انما مذهبهم اخذ شيء من الخراج كان اي من اموال الرعية ويقيمون اهل الخراج في الشمس ويضربونهم الضرب الشديد ويعلقون عليهم الجرار ويقيدونهم عما يمنعهم من الصلوة وهذا عظيمٌ

عند الله شنیع فی الاسلام (الجزء الثانی صفحة ۲۳ و ۲۴ مستندًا
الی کتاب الخراج صفحه ۶۱ و ۶۲)

الله اکبر اهل سمع احدٌ باعظم من هذا التدلیس والتلبیس یشتکی القاضی
ابو یوسف من عمال هرون الرشید ویرفع القضیة الیه ویبین ما بلغه
مما یرتکب عماله فی خذ الاموال من الرعایا، فیاخذ المولف اقواله وینقلها من حیث
انها هی الطرق التی کان عمال بنی امیة یجمعون الاموال بها، ها هو کتاب الخراج
بایدینا قرءناه وقلبناه ظهرًا عن بطنٍ وکررنا فیه النظر لا کرّة او کرّتین بل مرّات
متوالیة متتابعةٍ فما وجدنا فیه کلمة فی شان عمال بنی امیة وانما قال ما قال
ابو یوسف یعظ الرشید بما بلغه عن عماله الی ان خاطبه بقوله،

فلو تقرّبت الی الله عزوجل یا امیر المومنین ابا الجلوس لمظالم رعیّتک
فی الشهر او الشهرین مجلسا واحدا تسمع فیه من المظلوم وتنکر علی الظالم
وجوتُ ان لا تکون ممن احتجب عن حوائج رعیته ولعلک لا تجلس الا مجلسا
او مجلسین حتی یسیر ذلک فی الامصار والمدن فیخاف الظالم وتوفک
علی ظلمه فلا یجترئ علی الظلم ... مع انه متی علم العمال والولاة
انک تجلس للنظر فی امور الناس یوما فی السنة لیس یوما فی الشهر
تناهوا باذن الله عن الظلم وانصفوا من انفسهم (کتاب الخراج
صفحة ۶۳ و ۶۴)

لا نُضَّ فوك يا ابا يوسف! فقد صدعت بالحق وامرت بالمعروف واجترءت على النهي عن المنكر واخذت على ملكٍ جبارٍ كهرون الرشيد صاحب النكبة بالبرامكة والكبر جرأتك ايها الفاضل (جرجي زيدان) تتبعت سيرة عمال بني امية وبالغت في الامعان وكابدت في ذلك محنة التقصي فاعوزك كل هذا وما وجدت في اعمالهم شيئاً من مثل تلك الفظايع فعمدت الى سيرة عمال الرشيد واوهمت الناظرين انها سيرة عمال بني امية،

قال المولف وكان العمال لا يرون حرجاً في ابتزاز الاموال من اهل البلاد التي فتحوها عنوة لاعتقادهم انها فيءٌ لهم كما تقدم (الجزء الرابع صفحته ٥) الذي اشار اليه بقوله "تقدم" هو قوله في الجزء الثاني وهذا نصه "وكان من جملة نتايج تعصب بني امية للعرب واحتقارهم سايرالامم انهم اعتبروا اهل البلاد التي فتحوها وما يملكون رقاً حلالاً لهم يدل على ذلك قول سعيد بن العاص عامل العراق ما السواد الا بستان قريش ما اشتيناه اخذناه منه وما شيئاً تركناه وقول عمر بن العاص لصاحب اخنا لما سأله عن مقدار ما عليهم من الجزية فقال عمر وانما انتم خزانة لنا ان كثر علينا كثرنا عليكم وان خفف عنا خففنا عنكم (الجزء الثاني صفحة ١٩)

تثبت المؤلف بهذه الاقوال في غير موضع مستدلاً على ان العرب وبني امية كانوا يتصرفون على اموال الناس كيفما شاؤا ظناً منهم ان اموالهم

واعراضهم أبيحت لهم مطلقا۔

حقيقة القول انه لما فتحت البلاد فى خلافة الفاروق تقدم بعض الصحابة كعبد الرحمن بن عوف وبلال وغيرهما وقالوا ان الارض مقسومه بيننا كما قسم رسول الله خيبر وكان الفاروق رأى غير هذا فقام النزاع حتى وُفِّقَ الى الاستناد بنص القرآن فسكتوا ورضوا والقصة مذكورة بتفاصيلها فى كتاب الخراج للقاضى ابى يوسف ثم ان بعض البلاد فُتحت صلحًا فمتى كان الخراج او الجزية شيئًا مسمًّى معيّنًا ما كانوا يزيدون الزيادة عليه وان كثرت الارض خيراتها وزادت غلاتها وفتح بعضها عنوة فكان الخراج او الجزية عليها بقدر النقص والزيادة وهذا هو قول عمر "ان كثر علينا كثرنا عليكم وان خفف عنا خففنا عنكم" وقد اشار الى ذلك المقريزى فى تاريخه والعلامة السيوطى فى حسن المحاضرة فاما قول سعيد بن العاص الذى استند به المؤلف فتحريف الكلام عن موضعه على جارى عادته فان المؤلف نقل هذه الرواية من الاغانى والمذكور فيه ما حاصله "ان احدا مدح السواد عند سعيد بن العاص وبالغ فيه فقال بعضهم نعم وبالية كان لامير نا فقال بعض من حضر لا تعط ارضنا للامير فقال الرجل ولو شاء الامير لاخذها فانكروا قوله فقال سعيد بن العاص "السواد بستان قريش الخ" فقال الرجل لا انه من منايح رماحنا" فانت ترى ان النزاع بين الجند وامير البلد هنا هو النزاع الذى كان بين بعض الصحابة وعمر الفاروق وأىّ متشبث فى ذلك للمؤلف۔

فان سعید بن العاص قال ما قال ردًّا علی الجند بدعوی ان الارض لا تقسم بین فاتحی البلاد بل هی تحت ید الخلیفة او من ینوب عنه وانما ذکر سعید قریشیا لان الخلافة علی زعمهم للقریش خاصة،

قال المولف،

فکان الخلفاء یکتبون الی عمالهم بجمع الاموال وحشدها والعمال لا یبالون کیف یجمعونها فقد کتب معاویة الی زیاد، اصطفل الصفراء والبیضاء فکتب زیاد الی عماله بذلک واوصاهم ان یوافوه بالمال ولا یقسموا بین المسلمین ذهبا ولا فضة، (الجزء الرابع صفحته ٤ واحال الروایة فی الهامش علی العقد الفرید صفحة ١٨ من المجلد الاول)

ننقل ما اخذ هذه الروایة کما صرح به المولف فی الهامش لنری خیانات المولف واحدة بعد واحدة، قال صاحب العقد،

"ونظیر هذا القول ما رواه الاعمش عن الشعبی ان زیادا کتب الی الحکم بن عمر الغفاری وکان علی الطایفة ان امیر المومنین کتب الیّ ان اصطفی له الصفراء والبیضاء فلا تقسم بین الناس ذهبا ولا فضة فکتب الیه ان وجدت کتاب الله قبل کتاب امیر المومنین قسمتها وادی فی الناس فقسم لهم ما اجتمع من الفیء" (العقد الفرید المجلد الاول صفحة ١٨)

فانظر اوّلاً، انّه ليس فى هذه الرواية انّ معاوية كتب الى زياد بل ان زياد كتب الى الحكم انّ امير المومنين كتب الىّ، ولعل زياد كذب فى ذلك او فهم غير ما اراد معاوية بقوله،

ثانياً، انّ المولف حذف كل ما قال الشعبى وما عمل به من تقسيم الفئ، لدلالته على ان فى عمّال بنى امية من لا يمنعه عن الصدع بالحق واداء الواجب احدٌ - لا ولاة الامصار ولا من فوقهم اى الخليفة نفسه،

ثالثاً، انّه ليس فى هذه العبارة ما يستدل به على استيثار معاوية المال لنفسه فان مراده ان العمّال ليس لهم تقسيم الفئ، بل الامر موكولٌ الى الخليفة فعلى العامل ان يجمع الاموال ويرسلها الى الخليفة وللخليفة ان يضعها موضعها، قال المولف،

"فكان العمال يبذلون الجهد فى جمع الاموال باية وسيلة كانت و مصادرها الجزية والخراج والزكاة والصدقة والعشور واهمها فى اوّل الاسلام الجزية وكثرة اهل الذمة فكان عمال بنى امية يشتدون فى تحصيلها فاخذ اهل الذمة يدخلون فى الاسلام فلم يكن ذلك ليخيبهم منها لان العمال عدّوا اسلامهم الفرار من الجزية وليس رغبة فى الاسلام فطالبوهم بالجزية بعد اسلامهم واول من فعل ذلك الحجاج بن يوسف واقتدى به غيره من عمال بنى امية فى افريقية وخراسان وما وراء النهر فارتدّ الناس عن الاسلام

وهم يودون البقاء فيه وخصوصًا اهل خراسان وما وراء النهر فانهم طلبوا
الى اواخر بني امية لا يمنعهم عن الاسلام الا ظلم العمال بطلب الجزية منهم
بعد اسلامهم" (الجزء الرابع صفحة ۷۰)

ذكر المولف هذه الواقعة اى اخذ الجزية بعد الاسلام فى غير موضع بعبارات
متنوعة قوية الاخذ بالنفس شديدة الوطاة على القلب يتراى للناظر فيها ان
الناس احيطوا من كل جانب جورًا وعدوانًا فاذا ابقوا على الكفر يعانون من
الشدة ما يلجيهم الى الاسلام واذا اسلموا فالجزية باقية على حالها لا يخفف
عنهم العذاب ولا هم ينصرون،

اعلم ان الجزية ليست الا بدلًا عسكريًا فمن ينذب عن بيضة الملك
بنفسه فهو غير ماخوذ بها اما من ضن بالنفس ولا يصلح لذلك فعليه ان يودى
شيئًا من المال ليكون عدة للعسكر وعونًا له واول من سن الجزية وجعل لها
وضايع كسرى نوشروان كما ذكره ابن الاثير وصرح بانها هى الوضايع التى اقتدى بها
عمر بن الخطاب، وكم تجد فى البلاذرى والطبرى وغيرهما ان اقوامًا من النصارى
فى عصر عمر بن الخطاب لما قاموا بالدفاع عن الملك او دخلوا فى الجند سقطت
عنهم الجزية واعفى عمر بن الخطاب نصارى تغلب عن الجزية واضعف عليها
الصدقة وجملة القول ان الجزية لم يكن فى الاصل شئ يحد بين الكفر والاسلام
ولكن لما كان غالب الحال ان اهل البلاد من النصارى والمجوس واليهود

كانوا اصحاب حرث وزرع وعمّالٍ فى الديوان وكانوا لا يرضون بمخاطرة النفس واقتحام الحرب ولذلك كانوا مطالبين بالجزية والمسلم لا يمكن له الاعتزال عن الحرب فانه مضطر الى الذب عن بلاد الاسلام طايعا او مكرها، صارت الجزية كانها حدٌّ فاصل بين الرئيس والمرءوس ثم بين المسلم وغير المسلم،

٢- ولما لم ينفصل الامر بتة وبقى للاجتهاد موضع ومتّسع كان بعض العمال يضرب الجزية على حديثى العهد بالاسلام،

٣- ولكن مع هذا لم تتفق ذلك فى مدى الخلافة الاموية الا حوادث معدودات يشهد بذلك الفحص المتقصى واعمال النظر والكدّ فى البحث والتنقيب ومع ذلك فكلما وقع مثل هذا لم يكن له بقاء فامّا ان يكون الامة هى التى تقيم النكير على العامل او يصل الخبر الى الخليفة فيرد عمله ويمنعه عن الوقوع فى مثله اتيا ففى سنة لما كتب الحجاج الى البصرة بردّ من اسلم من اهل القرى الى مساكنهم وضرب الجزية عليهم ضجّ القرّاء وخرجوا يبكون مع البكاة من اهل القرى وبايعوا عبد الرحمن بن الاشعث مشمئزّين من عمال الحجاج منكرين عليه كما هو مشروح فى تاريخ الكامل لابن الاثير وكذلك لما اقتدى الجراح الحكمى بصنيع الحجاج كتب اليه عمر بن عبد العزيز يامره باسقاط الجزية والواقعة مذكورة فى حوادث سنة فى تاريخ الكامل وكذلك لما فعل يزيد بن ابى مسلم فى افريقية سنة ٠٢ اهـ اَبَى الناس عليه وقتلوه وكتبوا الى الخليفة يزيد بن عبد الملك فكتب اليهم ان ما كنت مستعسنا

عمل یزیدا والقصّة مذکورة فی الکامل تحت حوادث ١٠٢ سنة وکان اخرما وقع مثل ذلك ما فعل اشرس فی خراسان فاورث ثورة واشتراك العرب مع الثایرین ونصروهم اما خلفاء بنی امیة فلم یثبت من احد منهم مثل ذلك وانما کان اراد عبدالملك وضع الجزیة علی من اسلم من اهل الذمّة فکلّمه ابن حجرة فترك والقصّة مذکورة فی المقریزی بنوع من التفصیل (انظر صفحة ٨ من الجزء الاول) والآن نقصّ علیك بعض خیانات المولّف،

(١) ذکر وقعة الحجاج وترك نکیر القرّاء علیه وبیعتهم علی ید ابن الاشعث انکارًا علی صنیع الحجاج،

(٢) ذکر وقعة الجراح (الجزء الثانی صفحة ٢٠) وترك انکار عمر بن عبدالعزیز علیه ومنعه عن ضرب الجزیة علیهم،

(٣) ذکر واقعة یزید بن ابی مسلم وترك ان الناس قتلوه وان الخلیفة یزید بن عبدالملك استصوب صنیعهم ای قتلهم یزید بن ابی مسلم،

(٤) ذکر واقعة اشرس ولم یذکر ان العرب قاموا علیه وکانوا معاثایرین علیه ولما ثبت ان ضرب الجزیة علی حدیثی العهد بالاسلام لم یامر به احدٌ من خلفاء بنی امیة وانما کان اجتهادًا من بعض العمّال بناءً علی ان اسقاط الجزیة یورث نقصًا فی الخراج وان الخلفاء کلما عثروا علی ذلك منعوا العمّال عن ضرب الجزیة وردّوا عملهم وانه کلما وقع مثل ذلك تألّب العلماء والخیار من الناس

واقاموا النكير على ضاربي الجزية حتى قتلوا بعض العمال واستحسن الخليفة قتله فهل المولف ان يحمل ونزار بعض العمال على بني امية كافة وهل يصح قوله،

"ولم يكن عمال بني امية يأتون هذه الاعمال من عند انفسهم دائما بل كثيرا ما كانوا يفعلونه بامر خلفائهم كما قد رايت مما كتبه معاوية الى وردان" (الجزء الثاني صفحة ۲۲)

اما كتاب معاوية الى وردان فقد مر ذكره وليس فيه للمولف موضع حجة،

قال المولف

"انه لما راى اهل الذمة ان الاسلام لا ينجيهم من ذلك فمد بعضهم الى التلبس بثوب الرهبنة لان الرهبان لا جزية عليهم فادرك العمال غرضهم من ذلك فوضعوا الجزية على الرهبان واول من فعل ذلك منهم عبد العزيز بن مروان عامل مصر فامر باحضار الرهبان وفرض على كل راهب دينارا" (الجزء الثاني صفحة ۲۰ مستندا الى المقريزي صفحة ۴۹۲ من الجزء الثاني)۔

ايها الفاضل المؤلف اما هذا لاجتراء اما هذا الاختلاق اما هذا الكذب الظاهر؟

هاك نص المقريزي۔ "ثم قدم البعاقبة في سنة احدى وثمانين الاسكندرية فقام اربعا وعشرين سنة ونصفا وقيل خمسا وعشرين سنة ومات سنة ست ومائة ومرت به شدايد صودر فيها مرتين اخذ منه فيهما ستة

الان دينار وفى ايامه امر عبد العزيز بن مروان فامر باحصاء الرهبان
فاحصوا واخذت منهم الجزية على كل حالم دينار وهى اول جزية اخذت
من الرهبان، (الجزء الثانى من المقريزى صفحه ٤٩٢)

فهل تجد فى هذه العبارة ادنى اشارة الى ان عبد العزيز واحد غيره
شدد فى الجزية فاختار الرهبنة طلبا للنجاة من الجزية فما نفعهم وانما فيها
ان عبد العزيز بن مروان وضع الجزية على الرهبان وهذا ليس فيه كبير شئ فان
الرهبان وان كانوا معافون عن الجزية ولكن لما لم يكن الامر منصوصا لا فى
الكتاب ولا فى السنة كان للاجتهاد فيه مساغ فاجتهد عبد العزيز واخطاء،

انه هذا البحث | لو سردنا كل ما قال المولف عن جور بنى امية وعمالهم
واستيثارهم الاموال واسرافهم فى استلابها وبينا ما فى كل قول من التحريف
والتدليس وتغيير المعنى والخيانة فى النقل وصرف العبارة عن وجهها لطال
الكلام واحتجنا الى عمل كتاب منفرد بنفسه فلاجل ذلك اقتصرنا على كشف
بعض دسايسه مع انه قل من كلٍ وغيض من فيض[1]،

[1] ومما ينا سب ذكره فى هذا المقام ان المولف لما انجز الجزء الاول من كتابه ارسله الىّ فكتبت اليه
بعد الاعجاب به انه لا بد من ذكر مصادر الروايات فى كل موضع وذلك لاجل ان كنت اخاف عليه
التدليس، فاظهر المولف فى مقدمة الجزء الثانى انه عمل بذلك، وبين كراس الكتاب والجزء والصفحة
ولكن من الاسف ان كل هذا ما اجدى نفعا فانه ما يذكر المطبعة ولاجل هذا كابدت فى تطبيق
مصادر كتابه محنة عظيمة فان النسخ مختلفة ولا يدرى اى نسخة ارادها وبسبب ذلك ما اهتدنا
الى اكثر خيانا تها ومن المحقق المستيقن به انه ما نقل عبارة الا وعمل فيها شيئا من التحريف
والتغيير ومن كان فى ريب من ذلك فليراجع الاصول وليكابد محنة التطبيق ليقوم بما قلته
مع حيرة وانذهاش - ١٢

ونقول بعد كل ذلك ان موضوع الكتاب ليس الا بيان تمدن الاسلام
فاى متعلق فى ذلك لابداء مساوى بنى امية ولعلك تقول لابد فى تاريخ
تمدن الاسلام من بيان منهج السياسة وانها هل كانت موسسة على الاستبداد
والجور او العدل والنصفة فجرّ ذلك الى كشف عوار بنى امية عرضا ولكن
انا اشدك بالله اما كان لاحدٍ منهم ماثرةٌ تُذكر ومنقبة تنقل وسياسة تنفع
البلاد ومعدلةٌ تعم الناس نعم ان بنى امية لا يوزنون بالخلفاء الراشدين فليس
هذا عارًا عليهم ولا فيه حطٌّ لمنزلتهم فان ادراك شأو الراشدين واللحوق بهم
امرٌ خارج عن طوق البشر وليس فيه مَطمعٌ لاحد ولا موضع رجاء لمجتهد ولكن
التوازن والتكايُل بين الاموية والعباسية وانهم ملوك فيهم المحسن والمسئ والعادل
والجاير والناسك والخليع والحازم والمغفل بل الذى اعد لهم سيرة وامثلهم
طريقة واوفاهم ذمما وارضاهم طورا لا يخلو من عثرات لا تقال وهنات
لا تذكر فلو لزم المولف جادة الانصاف ووفّى لكل احد قسطه واعطى كل ذى حق
حقه لاستراح واسترحنا ولكنه مال الى واحد فاطرى فى مدحه ونال من
الاخر فاسرف فى تهجينه وذمه ثم انه لم يفارق فى مدحه وذمه عمود الكتاب
اى ذم العرب والحط من شانهم فانه ذم بنى امية لانهم العرب بحتة ومدح
العباسيين لانهم العرب او انهم من سلالة هاشم او من اقرباء النبى بل لان
دولتهم دولة عجمية وقد مر نصّه فى ذلك سابقا،

وحان لنا ان نذكر طرفا من مآثر بني امية وسيرتهم ومبلغهم من حسن السياسة وتعمير البلاد وتمهيد السبل وتوطيد الامن واقامة المرافق وتعميم المعارف

اعلم ان دولة بني امية عبارة عن معاوية ويزيد وعبد الملك بن مروان والوليد وسليمان وعمر بن عبد العزيز وهشام فاما ما عداهم فلم تطل مدتهم وليس للعبرة بهم ان احسنوا او اساؤا

فاما معاوية فنذكر من سيرته ما ذكره المؤرخ المسعودي في مروجه مع نوع من الاختصار قال

كان من اخلاق معاوية انه كان ياذن في اليوم والليلة خمس مرات

كان اذا صلى الفجر جلس للقصاص حتى يفرغ من قصصه ××× فيخرج الى المسجد فيسند ظهره الى المقصورة ويجلس على الكرسي ويقوم الاحداث فيتقدم اليه الضعيف والاعرابي والصبي والمراة ومن لا احد له فيقول ظلمت فيقول اعزروه ويقول عدي الى ان فيقول بعثوا معه ويقول صنع بي فيقول انظروه في امره حتى اذا لم يبق احد دخل فجلس على السرير ثم يقول ايذنوا للناس على قدر منازلهم فاذا استووا جلوسا قال يا هؤلاء انما سميتم اشرافا لانكم شرفتم من دونكم بهذا المجلس ارفعوا الينا حوائج من لا يصل الينا فيقوم الرجل فيقول شهد فلان فيقول افرضوا له ويقول

اخر غاب فلانٌ عن اهله فيقول تعاهدوهم واقضوا حوائجهم ثم
يوتى بالغداء والكاتب يقرء كتابه فيامر فيه حتى ياتى على اصحاب
الحوايج كلهم وربما قدم اليه من اصحاب الحوايج اربعون او نحوهم
على قدر الغداء،

واطال المسعودى فى بيان اعمال معاوية يوميا ثم قال بعد
حكاية معترضة فلنرجع الان الى اخبار معاوية وسياسته وما اوسع الناس من
اخلاقه وما افاض عليهم من بره وعطائه وشملهم من احسانه مما اجتذب
به القلوب واستدعى به النفوس حتى اثروه على الاهل والقرابات ثم ذكر بعد
ذلك عدة وقايع تركناها هربا عن الاطناب،

فاما عبدالملك فقال المدائنى كان يقال معاوية احلم وعبدالملك احزم
وهو الذى جعل على بيوت الاموال والخزائن رجاء بن الحيوة ذلك المحدث
المشهور وعلى كتابة الخراج والجند سرجون بن منصور الرومى (وهو نصرانى)
وحول الدواوين من الرومية والفارسية الى العربية وزاد على ما كان فرض
معاوية للموالى خمسة فبلغها عشرين ودخل فى بيعته عبدالله بن عمر ومحمد
بن حنفية ذكر كل ذلك صاحب العقد فى ترجمته وقد سبق من نسكه و
عبادته ما فيه كفاءة فيما مر،

ومما ينقم عليه تامير الحجاج واكن الدولة تحتاج فى اباتها واول نشاءتها

الی متال ذلك وهذا ابو مسلم الخراسانی مؤسس الدولة العباسية قتل ستماية الف رجل صبرًا وهذا ابو جعفر المنصور فعل بالهاشميين ما لم يسبق له نظير فی الاسلام ومع ذلك فانی اعوذ بالله ان اقوم ذابًا عن الحجاج ومدافعا عنه"

اما الوليد فكان اهل الشام يفتخرون به وحق لهم ذلك قال صاحب العقد الفريد "كان الوليد عند اهل الشام افضل خلفائهم واكثرهم فتوحا، واعظمهم نفقة فی سبيل الله بنی مسجد دمشق ومسجد المدينة ووضع المنابر واعطی المجذومين حتی اغناهم عن سوال الناس واعطی كل مُقعد خادما وكل ضرير قايدًا وكان يمر بالمقال فيتناول قبضة فيقول بكم هذه فيقول بفلس فيقول زد فيها فانك تربح" وهو الذی وسّع مسجد النبی وذهّب البيت قال ليعقوبی ان الوليد بعث الی ملك الروم يعلمه انه قد هدم مسجد رسول الله فليعنه فيه فبعث اليه بماية الف مثقال ذهبا ومماية فاعل واربعين حملا فيفساء " وبعث الوليد الی خالد بن عبد الله القسری وهو علی مكة بثلثين الف دينار فضربت صفايح وجعلت علی باب الكعبة " فكان اول من ذهّب البيت فی الاسلام وحج الوليد سنة ۹۱ لينظر الی البيت والی المسجد وما اصلح منه والی البيت وتذهيبه"

وقال ليعقوبی كان اول من عمل البيمارستان للمرضی ودار الضيافة واول من اجری علی العميان والمساكين والمجذومين الارزاق،

وقال السيوطی فی تاريخه للخلفاء "وكان مع ذلك (ای كونه جبارًا ظلوما)

يختن الايتام ويرتب لهم المؤدبين

ثم انّ الدّول تعرف اقدارها باثارها وتقضى بفضلها بعملها واخلدالاثار
التى تتفاضل بها مقادير الملوك وتتطاول بها رُتب الدّول كثرة الفتوح واستتباب
امور الملك والرعية وتوطد دعايم العدل وانتشار العلم ودولة بنى امية قد اخذت
من كل ذلك قسطا وضرب فى كل ذلك بسهم

اما كثرة الفتوح فقد بلغت دولتهم منها غاية ليس وراءها مُطلعٌ لطامح
انقضت ايام الخلافة الراشدة والاسلام يخرعبابه فى جزيرة العرب وديار الشام و
مصر وبلاد الفرس فلما تتمّت بنو امية عرش الخلافة ازداد الاسلام فتوحا واتسعت
ممالكه وغلب سلطانه وامتدّت سطوته ودخلت البلاد النائية المتراسية الاكنان
فى حوزة حكمه فملكوا ما لم يملكه احدٌ من ملوك الاسلام قبلهم ولا بعدهم فتحوا
اطرابلس وطبنة وسايربلاد المغرب والاندلس وبلاد الديلم والاتراك والمغول
والسند وقبرص واقريطش وردس وغيرها من جزاير البحر وغزوا صقلية وصالحوا
النوبة وتوغّلوا فى بلاد الروم حتى بلغوا سور القسطنطنية وضربوا السيف على ابوابها
وافتتح السند محمد الثقفى احدُ ابناء قوّادهم وهو ابن سبع عشرة سنة وقد وطئت
جيوشهم ثغور الصين وثغور بلاد الافرنج وعاصمة بلاد الروم وحدود بلاد الهند
وملكوا من السند الى ثغور بلاد الافرنج طولًا ومن البحر الاحمر الى بلاد الخزر عرضا
ودخل فى حوزة ملكهم العرب وديار الشام والعراق والجزيرة ومصر والبجة وبرقة

وتونس ومراكش وطرابلس والاندلس وارمينية وخراسان وفارس وتوران والديلم وبلاد الران وطبرستان وجرجان وسجستان وخوارزم وما وراء النهر وبلاد الخزر وافغانستان والسند وبعض بلاد الهند فمن بيدانيهم من الملوك فى سعة الملك ومن يباريهم فى كثرة الفتوح

استتباب امور الملك والرعية ليس فى سعة الملك كبير فضل اذا لم يكن هناك تأنق فى امور المملكة ونظر فى امور الرعية وقيام بمصالح العباد وتشمير فى عمارة البلاد ولذلك الذين فتحوا البلاد ولم ينظروا فى امور اهلها ليسوا عند ذوى الخبرة من اهل التاريخ اسمى منزلة واعلى مكانة من قطاع الطريق الذين يعيثون فى الارض مفسدين اما ملوك بنى امية فقد جمعوا بين بيعة الملك والنظر فى امور العباد وكثرة الفتوح وعمارة البلاد حفروا الانهار وعمروا الطرق وشادوا المصانع وابتنوا المساجد وبذلوا الاموال وقضوا الحوائج وكشفوا المظالم واغمروا المجذومين والعميان والمقعدين والصعاليك بالجزيل من الاحسان واجروا لهم الارزاق ثم رتبوا المصالح ودونوا الدواوين وحصنوا الحصون وبنوا المدن والقصور

فقد مر من ذلك شئ كثير فيما تقدم من سيرهم واعمالهم واليك هذه المجالة التى هى كالطل من الوبل اما المصانع فانه حصن هشام المثقب على يد حسان بن ماهون الانطاكى وحفر له خندقا وبنى حصن قطرغاش وحصن مورة وحصن بوفا من عمل انطاكية وبنى سعيد بن عبد الملك سور الموصل وهو الذى

هدمه الرشيد وفرش الموصل بالحجارة ابن تليد صاحب شرطة المروانيين وسار العباس بن الوليد الى مرعش فعمرها وحصنها ونقل الناس اليها وبنى لها مسجدا جامعا واسكن مسلمة بن عبد الملك مدينة البلاب اربعة وعشرين الفا من اهل الشام على العطا وبنى هريا (مخزنا) للطعام وهريا للشعير ومخزنة للسلاح و امر بكبس الصهريج ورمم المدينة وشرفها واحدث الحجاج احداما راءهم فى سنة ٨٣ مدينة واسط بين الكوفة والبصرة وبنى مسجدها وقصرها والقبة الخضراء بها واحدث سليمان بن عبد الملك فى ولايته مدينة الرملة ومصّرها وبنى فيها القصور ومسجدا وحفر الآبار والقنى والصهاريج ببنى احد قوادهم عقبة بن نافع الفهرى بافريقية قيروانها واحد ثوا غيرها من المدن والحصون والارباض فى الاندلس وحدود بلاد الروم والسند،

ثم امّنوا الطّرق وعمّروا السّبل فكان موضع **قيروان** غيضةً ذات طرفاء وشجر لا يرام من السباع والحيات والعقارب القتّالة فاحدثوا فيه تلك المدينة الزهراء فاصبحت طرق افريقية امنةً مستانسة بعد ما كانت مستوحشة ذات مخاوف ومهالك وكانت الطريق فيما بين انطاكية والمصيصة مسبعة يعترض للناس فيها الاسد فوجّه الوليد اليها اربعة الف جاموسة وجاموس فنفع الله بها واذكر ما كتب ابن الاثير فى حوادث سنة ٨٨ "ان الوليد كتب الى البلدان جميعها باصلاح الطرق وعمل الآبار" وكان الموضع الذى فيه

نهر سعید بن عبد الملك غيضة ذات سباع فاقطعه اياها الوليد فحفر وعمر ماهناك وما بغى سيل الجرات بمكة فى سنة ۸۰ فى زمن عبد الملك امر عامله بعمل ضفايير الدور الشارعة على الوادى وضفايير المسجد وعمل الردم على افواه السكك وحفر عدى عامل البصرة من قبل عمر بن عبد العزيز بامره نهر عدى

ومن الاخبار التى تدل على شدة حبهم للرعية وكثرة بذلهم فى ازاحة خللها واماطة اذاها انه شكا اهل البصرة الى عامل يزيد على العراق ملوحة مائهم فكتب بذلك الى يزيد فكتب اليه ان بلغت نفقة هذا النهر خراج العراق فانفقه عليه فحفر لهم النهر الذى يعرف بنهر ابن عمر وحفر عما لهم الجابرون الغاشمون (كما يقول جرجى أفندى زيدان) والمنتسبون اليهم كثيرا من الانهار غير ما ذكر كنهر معقل ونهر دبيس ونهر الاساورة ونهر عمرو ونهر ام حبيب ونهر حرب ونهر بزيدان ونهر سلم ونهر ناقد ونهر خيرتان ونهر مرة نهر مرة ونهر بشار ونهر بزور ونهر حبيب ونهر ذراع ونهر ابى بكرة وغيره من الانهار وهذه الانهار كلها حفروها[1] بالبصرة فما بال غيرها من البلاد،

اما ما بذلوا من الاموال واوغوا من الجهد فى بناء المسجد النبوى وتذهيب البيت والمسجد الاموى الذى هو معدود من احدى العجايب

[1] راجع لكل ذلك البلاذرى۔

فی کثرۃ نفقاتہ وعظمۃ بناءہ ودقۃ صنعہ وبہجۃ منظرہ وحسن نظامہ فھو اشھر من نار علی علم

وبنو اُمیّۃ ھم اول من اتخذ دار الضرب فی الاسلام فکسوا بہ الاسلام رفعۃ واغنوہ عن نقود الروم والفرس ونجوہ عما اوعدہ الروم بنقش شتم النبی صلی اللہ علیہ وسلم علیھا وھم الذین نقلوا الدفاتر والدواوین عن الفارسیۃ والرومیۃ والقبطیۃ الی العربیۃ[۵۱] فزادت العربیۃ انتشارا ونفوذا ولم یمض برھۃ من الدھر حتی اصبحت ھذہ البلاد عربیۃ النزعۃ واللسان وھم اوّل من بنی مستشفًی فی الاسلام بنوہ بدمشق سنۃ ثمان وثمانین جعلوا فیہ الاطباء وامروا بحبس المجذومین واجروا لھم الارزاق وھم اول من انشاء دار اللقیطان وھم اول من عمل دار الضیافۃ بعد[۵۲] عمر بن الخطاب وھم اول من رتب للایتام وتحزن الیھم ورتب لھم المودبین لیعلموھم[۵۳]،

نشر المعارف والعلم اما العلم فقد تفجرت بہ ینبوعہ وزھر بدرہ فالقرآن الذی ھو عمود الاسلام وراس العلوم وینبوع المعارف ادرک الامۃ قبل اختلافھا فیہ عثمان بن عفان وھو اموی ثم بعد ذلک اختلط العرب بالعجم واحتکت بھم ففسدت لغتھا واسلمت العجم فلم تستطع السلامۃ من اللحن فکثر التصحیف فی القرآن

---

۵۱ راجع لکل ذلک فتوح البلدان للبلاذری،

۵۲ الیعقوبی ذکر الولید،

۵۳ السیوطی ذکر الولید،

وانتشر بالعراق ففزع الحجاج وهو احد امراء بنی امیة الی کتابه فوضعوا النقط والاعجام فعصموا به کتاب الله ان یتطرق الیه التصحیف والتحریف تطرقهما الی التوراة والانجیل ووالله هذا اعظم مبرّة بُرّها الاسلام لایسا ویها مبرّة واعظم منّة مُنّ بها علی الدین لایوازیها منة ثم کتب الحجاج المصاحف وفرقها فی الامصار وکان الولید الذی رماه صاحبنا بالاستهانة بالقرآن یحث الناس علی حفظ القرآن وکان یجزل الصلات لحفظته ویضرب الذین لم یحفظوه[۵۲] فکثر حفظته وعظم قدرهم وجلت رتبتهم،

اما التفسیر ففی ایامهم نبغت اجلة المفسرین من التابعین وفی ایامهم دُوّن التفسیر فی الصحف فاول من وضع فی التفسیر ابن جبیر بامر عبدالملک[۵۳] ثم مجاهد،

اما الحدیث فکانوا یُدِرّون علی اهله الصلات ویبعثون الیهم بالهدایا ویجرون لهم الارزاق لینقطعوا الی حفظ الحدیث وروایته ونقله وکانوا یکرمون الفقهاء ویجلّون مقامهم ویراعون جانبهم فقد کان یصیح صائحٌ من بنی مروان فی موسم الحج الا لایفتی الناس الا عطاء بن ابی رباح، اجلالاً لشانه ولکثرة علمه بالمناسک[۵۴] وکان عبدالملک امر الحجاج وهو امیره

---

۵۱ ابن خلکان ذکر الحجاج، ۵۲ میزان الاعتدال للذهبی ذکر عطاء بن دینار،

۵۳ العقد اخبار الولید وابن الاثیر سنة ۸۸،

۵۴ ابن خلکان ذکر عطاء، ۵۴ مقدمة شرح الموطا للزرقانی،

على الموسم ان يقدم ابن عمر فى الحج ويقبض اثره فى المناسك وكان سالم
ابن عبد الله والقاسم بن محمد والشعبى وميمون بن مهران والزهرى و
ايوب بن ابى تميمه وقبيصة بن ذؤيب ورجأ بن الحيوة اعزة عند بنى امية
وكان اكثرهم عمالا لهم وهم اساطين الحديث واية الرواية واعلام النقل
وانت تعلم ان احاديث الرسول صلى الله عليه وسلم لولا استودعت بطون
الصحف لضاعت بهلاك العلماء واسراع الموت فيهم فاستمك بحرمة
التاريخ من امر اهل هذا الشان بتدوينها فى الكتب ليس هو عمر بن عبد العزيز
الاموى فجاء فى الاثار ان عمر بن عبد العزيز كتب الى الافاق انظروا حديث
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجمعوه وكتب الى ابى بكر بن حزم راس
المحدثين ان انظر ما كان من سنة او حديث فاكتبه لى فانى خفت دروس العلم
وذهاب العلماء وقد كتب ابن حزم كتبا فى الحديث فتوفى عمر ثم وضع الكتب فى
ربيع بن صبيح وكان عمر بن عبد العزيز يكتب الى الامصار يعلمهم السنن والفقه[1]
اما اصول اللغة ونحوها فقد كان تدوينها بامر امراء بنى امية ذكر
ابن خلكان (المجلد الاول صفحة ۲۴۰) ان ابا الاسود الدؤلى استاذن زياد بن ابيه
وهو والى العراقين يوميذ ان يضع للعرب ما يقيمون به لسانهم فابى ثم بدا له
صواب رايه فدعا الدؤلى وقال له ضع للناس الذى نهيتك ان تضع لهم

[1] مقدمة الزرقانى على الموطا

فوضعه واخذ عنه ما وضعه عتبة بن مهران المهری وعنه میمون وعنه عبداللہ الحضری وعنه عیسی بن عمر وعنه الخلیل[۵۱] وهؤلاء کلهم کانوا فی عصر بنی امیّة وهم واضعوا النحو ومدونوا اصوله،

اما الشعر فقد ففی عصرهم فتقت السنة الشعراء وارتفع قدرهم وانتشر ذکرهم فحول الشعر وامراء القول وفرسان القریض هم الفرزدق الدارمی وجریر الخطفی والاخطل التغلبی وعمر بن ابی ربیعة القرشی وکثیر عزّة وجمیل بثینة ومجنون لیلی وذو الرمّة غیلان ونصیب وهؤلاء کلهم کانوا یقصدونهم بجیاد قصایدهم فکانوا یغمرونهم بالجوایز فطقت السنتهم بما اعیی زهرة للادب وزینة للّغة،

وکانوا یحثون الناس علی اقتناء الادب وتناشد الشعر وتدارس اخبار الشعراء وکانوا یستوفدون الشعراء ویستزیرونهم ویجیزونهم بالاموال الجزیلة وکانوا یرسلون ابناءهم الی البادیة لیتسلقنوا الادب ویتلقفوا اللغة من افواه الاعراب واهل البادیة وقد جمع الولید بن یزید عبدالملک دیوان العرب واشعارها واخبارها وانسابها ولغاتها[۵۲]،

اما علم **التاریخ والسیر والمغازی** فبعصرهم افتتح عصره وبامرهم ارتفع امره فحول اصحاب السیر والمغازی وهو وهب بن منبه عالم الیمن المتوفی سنة ۱۱۴ ومحمد بن مسلم الزهری صاحب عبدالملک المتوفی سنة ۱۲۴

---

[۵۱] ابن خلکان المجلد ۲ صفحة ۳۰۸، [۵۲] الفهرست صفحة ۹۱،

وموسیٰ بن عقبۃ المتوفی سنۃ ۱۴۱ وھٰؤلاء کلھم کتب فی التاریخ والسیر والمغازی[۵۱]
ووضع فی ایامھم عوانۃ المتوفی سنۃ کتاب التاریخ وکتاب سیرۃ معاویۃ و
بنی امیۃ وکان لملوک بنی امیۃ رغبۃ شدیدۃ فی استطلاع الاخبار الماضیۃ و
حوادث الامم الخالیۃ قال المسعودی انہ کان معاویۃ یجلس لاصحاب الاخبار
فی کل لیلۃ بعد العشاء الی ثلث اللیل ثم ینام ثلث اللیل ویقوم فیاتیہ غلمان
وعندھم کتب فیقرؤن علیہ ما فی الکتب من اخبار الامم وسیر الملوک وسیاسات
الدول ولم یصبر علی ذلک حتی استحضر عالم عصرہ عبید بن شریہ من
صنعاء الیمن وسالہ عن الاخبار المتقدمۃ وملوک العجم وسبب تبلبل الالسنۃ
وامر افتراق الناس فی البلاد وامرہ ان یدون ما علمہ وعاش عبید الی ایام
عبد الملک وتوفی ولہ من الکتب کتاب الامثال وکتاب اخبار الماضین[۵۲]
واخذ عنہ اناس سماھم ابن الندیم وکان من رواتہ زید الکلابی فی ایام
یزید بن معاویۃ عارف بایام العرب واحادیثہا (الفہرست صفحۃ ۹۰) وقد
کان ھشام مشغوفا بالسیر والاخبار فنقل لہ جبلۃ بعض کتب سیر الفرس
من الفارسیۃ الی العربیۃ وامر ھشام النقلۃ فنقلوا لہ کتاب تاریخ ملوک الفرس
وقوانین دولتھم وتراجم رجالھم وکان ھذا الکتاب مصورا ثم نقل سنۃ ۱۳

---

[۵۱] راجع کشف الظنون وتذکرۃ الحفاظ،

[۵۲] کتاب الفہرست صفحۃ ۲۴۴،

رآه المسعودی سنة ۳۰۳ فی مدینة اصطخر کما ذکر فی التنبیه (صفحة ۱۰۶)،

اما علوم الفلسفة ومنها الطب والکیمیاء فکان لهم فی نقلها الی العربیة آثار صالحة فنقل ابن اثال لمعاویة کتب الطب من الیونانیة وهذا اوّل نقل فی الاسلام وکان فی البصرة فی ایام مروان بن الحکم طبیب ماهر یهودی النحلة عارف بالعربیة اسمه ماسرجویة فنقل ماسرجویه هذا کناش القس اهرون ابن اعین فی السریانیة الی العربیة فلما تولی عمر بن عبد العزیز وجد هذا الکتاب فی خزائن الکتب فی الشام فاخرجه الی الناس وبثّه فی ایدیهم[۱] وخالد بن یزید بن معاویة حکیم الامیّة اول من طلب علوم الفلسفة فی الاسلام وخبره انه کان یطمع فی الخلافة فلما وثب مروان علیها رغب خالد عنها الی طلب العلم فاستقدم جماعةً من فلاسفة الیونانیین ممن کان ینزل مدینة مصر ومنهم مریانوس الرومیّ الذی اخذ عنه صنعة الکیمیا والطب وامرهم بنقل الکتب من الیونانیة والقبطیة الی العربیة فنقلوها له وتخالد کلام فی الکیمیا والطب وکان بصیرًا بهذین العلمین متقنًا لهما وله رسایل دالّة علی معرفته وبراعته کما اخبر به ابن خلکان وقد ذکر له ترجمة صالحة ابن النّدیم فی فهرسته ونقل سالم کاتب هشام وهو ابو جبلة المار ذکره رسایل ارسطاطالیس الی الاسکندر فبناءً علی ما قدمنا من القول بنو امیة هم اول من استقدم الفلاسفة

---

[۱] اخبار الحکما، وعیون الانباء،

واستدناهم فى الاسلام هم اوّل من امر بنقل العلوم الى العربية فى الاسلام هم اول من انشأ خزاين للكتب فى الاسلام وقد اضربنا صفحا عما كان لآل امية بالاندلس فى السياسة والعلم من المآثر الحسنة والاعمال الجليلة والسير العادلة فهل لك ايها الفاضل المؤلف الى الاذعان للحق من سبيل والى الرجوع من ضلال الراى من طريق،

صنيع المولف بالعباسية عهدنا الوحوش الضارية معجفاء طبعها وقسوة قلبها وكونها مطبوعة على الافتراس والفتك والتروى بالدم اذا دخلت غابتها واحاطت بها عايلتها تبدّل القسوة بالرحمة والغلظة باللطف والغضب بالحنان فبينما اسامة جيس كاشر عن الانياب كالح الوجه مستبشع المنظر كريه الهيئة اذهو هش بش حنون عطوف يدوب لطفا ورقة وكذلك شان قواد الجند وابطال الحرب فانك ترى احدهم اذا قاتل الاقران وناطح الاقران فهو شهاب ينقض ونار تلتهب وسعير تفور واذا عاشر الاصحاب فهو اليهم جانبا واحلاهم خلقا واوسعهم حلما وارقهم طبعا وقد جرّبنا المولف وعجمنا عوده فى معاملته مع اعدايه (بنى امية) فلننظر كيف حاله فى معاشرته معاصد قايه (العباسية)

قال المولف.

"فحبّب بعضهم الى المنصور ان يستبدل الكعبة بما يقوم مقامها فى العراق

تكون حجا للناس فيبنى بناء سماه القبة الخضراء تصغيرا للكعبة وقطع المير

فی الہجر عن المدینۃ" (الجزء الثانی صفحۃ ۳۰)

وقال،

"وارادالمعتصم ان یستغنی عن بلاد العرب وقد بنی سامرا بقرب بغداد واقام فیها جنده فانشاء فیها کعبة وجعل حولها طوافا وامر بتخذ منی وعرفات" (الجزء الثانی صفحۃ ۳۲)

وقال،

فلما افضت الخلافة الی المامون + فاخذ لاشیاعه وصرح باقوال لم یکونوا یستطیعون التصریح بها خوفا من غضب الفقهاء وفی جملتها القول بخلق القرآن ای انه غیر منزل (الجزء الثالث صفحۃ ۱۴۱)

غیر خافٍ علی احدان العباسیۃ ان افتخروا وتطاولوا علی منازعیهم فی الریاسة فعظم فخرهم وابین حجتهم انهم بنو عم النبی وسدنة البیت وخدمة الحرم وَدُعاة الاسلام ونقباء القرآن وصاحبنا یقول ان المنصور وهو موسس دولتهم وفاتحة خلفاءهم بنی القبة الخضراء ارغاما للکعبة وقطع المیرة عن المدینة تضییقا علی اهلها وان المامون وهو افضل خلفاءهم دینا وورعا کان ینکر نزول القرآن وان المعتصم وهو فحلهم وواسطة عقدهم بنی کعبة فی سامرا وجعل لها طوافا" ولعلك تقول ان الحاکم بالعدل والقایم بالقسط لیس له حمیم ولا عدو فهو یتحری الصدق ویدور مع الحق کیفما دار

فالمولف اذا اتتها سيئة من بنى العباس قضى عليهم من غير محاباة بهم ولا ميل اليهم وكذلك اذا عرضت له حسنة من بنى امية فهو يوفى حقهم من الاستحسان وحسن القول وتنويه الذكر هيهات هذا كان رجاء وتا فخاب الظن وكذب الامل وذهب الثقة فان المولف لما ذكر بنى امية عقد لمثالبهم ابوابا منها استخفافهم بالدين وذكر فيه قتال عبد الملك مع ابن الزبير فقلب الرواية كما اسبقنا ذكره فلو كان مغزى المولف الصدق وبيان الحقيقة لكان يعقد بابا للعباسية ايضا يذكر فيه استخفافهم بالكعبة وانكارهم لنزول القرآن وهنا موضع نظر الى دقة مكيدة المؤلف وحسن احتياله فانه يريد من طرف الغض من الكعبة والحط من القرآن ومن طرف الانتصار للعباسية والذب عنهم لاجل انهم كسروا شوكة العرب واتخذوا العجم بطانتهم وعمودودولتهم فذكر استخفافهم بالكعبة ولكن مغموسا مبددا تحت عنوان ثروة الدولة الاسلامية ليأخذ بطرفى المطلوب ويفوز ببغيتيه معا،

اما كشف الجلية عن اصل الحال فالامر ان من يدعى الخلافة (وهى منصب دينى) ويرشح لها نفسه لا يجد الى ذلك سبيلا الا بالتظاهر بالدين والتصبغ به ونصب نفسه لاعلاء كلمته ورفع مناره وحمل الناس على تعظيم شعائره والتدنى الى خاصة القائم به ليجلب عطف القلوب وجذب الاموال ورضاء العامة والتحبب الى الناس ولذلك كان الخلفاء (بنو امية

والعباسية كلاهما) يصلّون بالناس ويؤمّونهم ويحضرون الموسم ويحجّون بهم
اويرسلون من خاصّتهم من ينوب منابهم ويخطبون على المنابر ولذلك
لما اراد اهل الشام المكيدة بعلى رضى الله عنه ورفعوا المصاحف كفّ اصحاب
عليّ من القتال ولما قال علىّ هذه خديعة منهم قالوا اذا لم ترتد عن هذا
خلعناك فلم يقدر على خلافهم ورضى بما لم يكن وفق رضاه ولما فعل يزيد
ما فعل ضجّ الناس وكادوا يسطون عليه لولا انه مات عاجلًا ولما اراد الحجاج
قتال ابن الزبير اغراهم بان ابن الزبير الحد فى الدين وزاد على الكعبة ولذلك نصب المناجيق
تلقاء الزيادة التى كان زادها ابن الزبير رضى ولما جاهر الوليد ابن يزيد بالفسق
قاموا عليه وقتلوه ولما قال ابو نواس يمدح الامين وصدّر القصيدة بهذا البيت

الا فاسقنى خمرًا وقل لى هى الخمر ولا تسقنى سرًا اذا امكن الجهر

اتخذ المامون هذا وسيلة لاغراء الناس على مخالفة الامين فهل
تصدق بعد كل ذلك بان المنصور او المعتصم كان يقدر او يسوغ له ان يصغر
شان الكعبة ويمس من شرفها وهل كان يقدر المامون ان يحمل الناس
على انكار القرآن والعياذ بالله - فاما استشهاد المؤلف فى هذه الواقعة
بابن الاثير وغيره فكله تحريفٌ وتدليسٌ وسوءُ تاوُّلٍ ولولا انى سئمت
من كشف دسائسه مرة بعد اخرى لاوضحت الامر وبيّنت حقيقة الحال،

قال المؤلف ولما تولى المعتصم سنة ٢١٨ واصطنع الاتراك والفراغنة

ازداد العرب احتقارا فی عیون اهل الدولة وتقاصرت ایدیهم عن اعمالها حتی فی مصر فاصبح لفظ العربی مرادفا لاحقر الاوصاف عندهم ومن اقوالهم العربی بمنزلة الکلب طرح له کسرة واضرب راسه وقولهم لا یفلح احد من العرب الا ان یکون معه نبیٌّ ینصره الله به (الجزء الثانی صفحه ۳۱ و ۳۲)

من احسن اعمال آل عباس عند المولف انهم صغّروا شان العرب و ساموها الخسف وسلّطوا علیهم الاعاجم والاتراك وجعلوهم ولاة البلاد بیدهم الامر والنهی والرفع والخفض والعقد والحل والنقض والابرام ذکر ذلك فی غیر مواضع وکلما ذکر وجد من نفسه ارتیاحا الیه وشفاءً لحزازته وهزةً لعطفه ونیلاً لاربه ومعران الواقعة مکذوبة او محرّفة علی جری عادته فنحن لا ننازعه فی ذلك ونطوی الحدیث علی غرته ولکن نقول اذا مدح احدٌ مثلا دولة الفرنسا وقال انهم ذلّلوا الفرنساویین وارغموا انفهم واستلبوهم المناصب وقلّدوا الولایات الاجانب وجعلوهم قابضی ازمّة الامور یولّون ویعزلون وینفقون ویمسکون فهل هذا یکون مدحا ترضی به دولة فرنسا او یکون هذا عارا یستحی منه ومسبّة یستنکف عنها وشناعة تشمأزّ عنها القلوب وانصف من نفسك ما کان حظّ العباسیین من تولیة الاعاجم اما آل برمك فلا ننکر فضلهم ومحاسن آثارهم ولکنهم مع کل ذلك استاثروا بالاموال وانفردوا بالاعمال حتی لم یکن حظّ الخلفاء من الخلافة

الا الاسم فقط فاضطر الرشيد الى النكبة بهم وازالة دولتهم واما الاتراك فصاروا يلعبون بالخلافة كل ملعب فكم قتلوا من الخلفاء وسجنوهم وعذبوهم بانواع العذاب وتركوهم يموتون جوعًا يسألون الناس ولا يعطون فهل هذه سياسة تمدح ومأثرة تذكر وفضيلة تفتخر بها ـ

الخلفاء الراشدون المولف حرفته تاليف الكتب متكسبا به وهو يعرف حق المعرفة انه لو انتقد على الخلفاء الراشدين ونال منهم تصريحا كسد سوقه وخاب صفقته فدبر لذلك حيلًا يكاد لا يتفطن لها اللبيب المتيقظ فضلا عن البليد المتساهل فعمد الى رؤس المثالب ونسبها اليهم بانواع الاحتيال فتارة يتبديها في تنيات الكلام وابعادها عن موضع العناية وتارةً يايرادها عرضا موهما عدم الاعتناء بها وتارة بذكرها محتالا لها عذرًا واذا كررت النظر في كلامه وتصفحت ما فيه وجمعت ما هو مبدد ونظمت ما هو مفرق تكاد تستيقن ان الخلفاء كانوا من اشد علماء العلم وانهم ابادوا الكتب والخزانات واضطهدوا على اهل الذمة وجعلوهم اذلاء لا يؤذن لهم ولا يوبه بهم،

اما كونهم اعداء العلم فبين المؤلف ذلك اجمالا وتفصيلا فقال،

"كان الاسلام في اول مرة نهضة عربية والمسلمون هم العرب كان اللفظان مترادفين فاذا قالوا العرب اراد والمسلمين وبالعكس لاجل

هذه الغاية امر عمر بن الخطاب باخراج غير المسلمين من جزيرة العرب
وعلى هذا الاعتقاد في الصحابة لما فازوا في فتوحهم وتغلبوا على دولتي
الروم والفرس فنشأ في اعتقادهم انه لا ينبغي ان يسود غيرا لعرب
ولا يتلى غير القرآن"

"اما في الصدر الاول فقد كان الاعتقاد العام ان الاسلام يهدم ما كان
قبله فرسخ في الاذهان انه لا ينبغي ان ينظر في كتاب غير القرآن"

"فتوطدت العزايم على الاكتفاء به عن كل كتاب سواه ومحو ما كان
قبله من كتب العلم في دولتي الروم والفرس كما حاولوا بعد ئذ بهدم
ايوان كسرى واهرام مصر وغيرها من آثار الدول السابقة"

(الجزء الثالث صفحه ٣٩)

"وبناءً على ذلك هان عليهم احراق ما عثروا عليه من كتب اليونان
والفرس في الاسكندرية وفارس (الجزء الثالث صفحه ١٣٥)

حريق الخزانة الاسكندرية لم يقتنع المؤلف بذلك فعقد بابًا لاثبات ان حريق الخزانة الاسكندرية كان بامر **عمر بن الخطاب** واطال واطنب في ذلك واستدل عليه بستة دلائل[1] نحن نذكرها مع الرد عليها اجمالًا،

قال اولًا،

---

[1] الجزء الثالث من تمدن الاسلام،

"قد رايت فيما تقدم رغبة العرب فى صدر الاسلام فى محو كل كتاب غير القران بالاسناد الى الاحاديث النبوية وتضريح مقدمى الصحابة"

الذى ذكر قبل ذلك (انظر صفحة ٣٩) وحوّل عليه ههنا اقوال منها "ان الاسلام يهدم ما كان قبله" وكلنا يعرف ان المراد به ابطال عوايد الجاهلية ومزعوماتها وليس المراد محو الكتب او احراق الخزاين ولكن لما كان المؤلف دخيلا فينا غريب الذوق والمعرفة حمل الكلام على غير محله او لعله عارف يتجاهل وبصير يتعامى

ومنها قول النبى عليه السلام "لا تصدقوا اهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنّا بالذى انزل علينا وانزل عليكم والهنا والهكم واحدٌ" واىّ متعلق فى هذا بل هو يخالف لما يريده المؤلف فان الحديث يامر بالايمان بما انزل الى اهل الكتاب اما الاغفال عن تصديق اهل الكتاب وتكذيبهم فلا جل كون اهل الكتاب غير موثوقين بهم فى الرواية ومنها ان النبى صلى الله "راى فى يد عمر ورقة من التوراة فغضب حتى تبين الغضب فى وجهه ثم قال لم اتكم بها بيضاء نقية والله لو كان موسى حيًّا وسعه الا اتباعى" وهذا لا مستند فيه للمولف فان النبى صلى الله عليه وسلم خاف على عمر عنايته بالتوراة والتصديق بكل ما فيها مع كونها مغيرة لعبت بها ايدى النقلة ولذلك قال لم اتكم بها بيضاء نقية، وهذا لا يستلزم بل ليس فيه

ادنیٰ شارۃ الی محوہا والحاق الضرر بہا ونزیدک ایضاً جاللکلام بما فیہ تلیح الصد
وفصل الخطاب، فاعلم ان عمود الاسلام وقطب رحاہ ھو القران وعلیہ
المعوّل وھو المستمسک فی کل باب وکان ھو العروۃ الوثقی فی ھذا العصر
للصحابۃ واھل القرن الاوّل والقران لہ عنایۃ کبری بالتوراۃ والانجیل
وھو الذی نوّہ بذکرھما وعظم شانھما، فقال

فاسئلوا اھل الذکر ان کنتم لا تعلمون، والمراد بالذکر التوراۃ،

انا انزلنا التوراۃ فیھا ھدی،

ولو انھم اقاموا التوراۃ والانجیل وما انزل الیھم من ربھم لاکلوا من
فوقھم ومن تحت ارجلھم،

مصدقا لما بین یدی من التوراۃ،

مصدقا لما بین یدیہ من التوراۃ،

ما کان حدیثا یفتری ولکن تصدیق الذی بین یدیہ (ای التوراۃ والانجیل)

ولاجل ذلک کان عدۃ من اجلۃ الصحابۃ منقطعین الی قرءۃ التوراۃ
والانجیل والاعتناء بحفظھما ودرسھما ولم یکتفوا بھا بل اخذوا یردون ویتفاوضون
کل ما وجدوا من اقاصیص اھل الکتاب ومرویاتھم وقد اعترف بذلک
المولف نفسہ فقال،

"وقد رایت ان العمدۃ فی التفسیر علی النقل بالتواتر والاسناد من النبی

فالصحابة فالتابعين، والعرب يومئذ امیون لا کتابة عندهم فکانوا
اذا تشوقوا الی معرفة شیء مما تتوق الیه نفوسهم البشریة من اسباب
الوجود وبدء الخلقة واسرارها سالوا عنه اهل الکتاب قبلهم من
الیهود والنصاری، فکانوا اذا سئلوا عن شیء اجابوا بما عندهم من
اقاصیص التلمود والتوراة بغیر تحقیق فامتلات کتب التفسیر من هذه
المنقولات (الجزء الثالث صفحة ٦٤)

وذکر المؤلف عقیب ذلک وهب بن منبه وانه قرء من کتب الله
٧٢ کتابا ثم قال،

"فکان للعرب ثقةٌ کبری فیه"، وقال بعد ذلک فکانت کتب التفسیر
فی القرون الاولی محشوة بالاخبار وفیها الغثُّ والسمین مما نقل الیها
من الادیان الاخری"،

فانظر کیف یناقض المولف نفسه فقال،

"فنشاء فی اعتقادهم انه لا ینبغی ان یسود غیر العرب ولا یتلی غیر القرآن
"فرسخ فی الاذهان انه لا ینبغی ان ینظر فی کتاب غیر القرآن"
"فتوطدت العزایم علی الاکتفاء به (ای القرآن) عن کل کتاب سواه
ومحوما کان قبله من کتب العلم"،

ویقول الآن ان کتب التفسیر فی القرون الاولی محشوة بالاخبار.....

مما نقل اليها من الاديان الاخرى وانه كان للعرب ثقة كبرى فى وهب بن منبه وان كتب التفسير امتلاءت من منقولات اهل الكتاب" فلو كان اهل القرن الاول يبغضون ما سوى القرآن ويمحون ما كان قبله من العلم كما يدعيه المؤلف فمن روى الاسرائيلات واقاصيص التلمود والتوراة وحشاها فى التفسير ولما كان المسئلة موضع زيادة تفصيل نزيدك توضيحا وتفصيلاً ،

كانت لعدة من الصحابة وكبراء التابعين عناية كبرى بالتوراة وغيرها من الكتب السماوية فمنهم ابوهريرة الذى كان ملازما للنبى عليه السلام منقطعا الى الرواية ، لم يدانه احدٌ فى كثرة الرواية كان مشغوفا بقراءة التوراة ودرسها قال العلامة الذهبى فى طبقات الحفاظ فى ترجمته "عن ابى رافع عن ابى هريرة انه لقى كعبا (وهو حبر اليهود) فجعل يحدثه ويسأله فقال كعب ما رايت احدًا لم يقرء التوراة اعلم بما فيها من ابى هريرة"

ومنهم عبدالله بن عمرو بن العاص احد من هاجر قبل الفتح قال الذهبى فى طبقات الحفاظ "كان من ايام النبى صواما قواما تاليا للكتاب لله طلاب للعلم كتب عن النبى صلى الله عليه وسلم علما كثيرا ++ وكان اصاب جملة من كتب اهل الكتاب وادمن النظر فيها ورأى فيها عجايب ،

ومنهم عبدالله بن سلام حليف الانصار اسلم وقت مقدم النبى وفيه ورد قوله تعالى ومن عنده علم الكتاب نقل الذهبى بعد ذكر فضايله

وكونه عالما اهل الكتاب رواية بالاسناد يرفعه الى عبد الله بن سلام انه جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال ان قرءت القرآن والتوراة فقال اقرء هذا ليلةً وهذا ليلةً، فهذا ان صح ففى الرخصة فى تكرير التوراة وتدبرها،

ومنهم **كعب الاحبار** كان من كبار اهل الكتاب، اسلم فى زمن ابى بكر قال الذهبى قدم من اليمن فى دولة امير المومنين عمر فاخذ عنه الصحابة وغيرهم واخذ هو من الكتاب والسنة عن اصحابه، فهذا كانه تصريح فى ان الصحابة اخذوا عنه علم اهل الكتاب،

ومنهم **وهب بن منبه** قال الذهبى فى ترجمته "وعنده من اهل الكتاب شئ كثير فانه صرف عنايته الى ذلك، وكان ثقة واسع العلم ينظر بكعب الاحبار فى زمانه، وعن وهب قال يقولون عبد الله بن اسلام اعلم اهل زمانه **وكعب** اعلم اهل زمانه،

فهل بعد كل هذا يصح قول المولف، ان الصحابة ومن يليهم كانوا يقولون انه لا ينبغى ان يقرء كتابٌ غير القرآن ومحوا ما كان قبلهم من العلم عياذًا بالله،

قال المولف

ثانيًا جاء فى تاريخ مختصر الدول لابى الفرج" ثم نقل رواية الاحراق برمتها واطال فى اثبات ان ابا الفرج ليس باول من روى هذه الرواية

بل ذكرها عبد اللطيف البغدادي عرضا في ذكره عمرو الواري وذكرها القفطي في تاريخ الحكماء"

لا ننازع المولف فان ابا الفرج مسبوق في ذكر هذه الرواية بالقفطي والبغدادي ولكن ماذا ينفعه ذلك فان البغدادي وهو اقدمهما من القرن السادس للهجرة وذكر الرواية من غير اسناد ومن غير احالة على كتاب تعود المولف من صباه بقبول مختلقات اهل الكتاب واوهامهم فسبب ذلك انه يزن التاريخ الاسلامي بميزانٍ غير ميزاننا ولذلك يصغى الى كل صوتٍ ويستمع لكل قائل لا يعرف ان هذا الفن له اصول ومبادٍ وقواعد وما لم يكن الرواية مطابقة لهذه الاصول اليقينية لا يلتفت اليها اصلا منها ان الناقل للرواية لابد ان يكون شهد الواقعة فان لم يشهد فليبيّن سند الرواية ومصدرها حتى يتصل الرواية الى من شهدها بنفسه ومنها ان يكون رجال السند معروفين بصدقهم وديانتهم، ومنها ان لا يكون الرواية تخالف الدراية ومجاري الاحوال، ولذلك اهتم مورخو الاسلام قبل كل شيء بضبط اسماء الرجال والبحث عن سيرهم واحوالهم وديانتهم ومحلهم من الصدق فدوّنوا كتب اسماء الرجال وكابدوا في ذلك محنة يضيق عنها النطاق لبشر فعملوا كتبا غير محصورة منها الكامل لابن عدي والثقات لابن حبان وتهذيب

الكمال للمزى وتهذيب التهذيب لابن حجر وطبقات الصحابة لابن سعد
ولابن ماكولا وابن عبد البر ولابن الاثير ولابن حجر وتهذيب الاسماء للنووى
وميزان الاعتدال للذهبى ولسان الميزان لابن حجر۔

وتجد كتب القدماء من مورخى الاسلام كلها او اكثرها كتاريخ البخارى
وسيرة بن اسحاق وتاريخ الطبرى وابن قتيبة وغيره مسلسل الاسناد
مبينة الاسماء ليمكن نقد الرواية ومعرفة جيدها من زيفها،

فاوّل شئ يهمنا فى هذا البحث ان نرى هل ذكر القفطى والبغدادى
هذه الرواية مسندة وذكر امصدر الرواية واسماء رواتها ام لا،

وانت تعلم ان البغدادى والقفطى من رجال القرن السادس والسابع
فاىُّ عبرة برواية تتعلق بالقرن الاول يذكرانها من غير سندٍ ولا رواية
ولا احالة على كتاب،

اما كتب القدماء الموثوق بها فليس لهذه الرواية فيها اثر ولا عين هذا
تاريخ الطبرى واليعقوبى والمعارف لابن قتيبة واخبار الطوال للدنيورى
وفتوح البلدان للبلاذرى والتاريخ الصغير للبخارى وثقات ابن حبان
والطبقات لابن سعد قد تصفّحناها وكرّرنا النظر فيها ومعجم فتح الاسكندرية
مذكورٌ فيها بقضّها وقضيضها ليس لحريق الخزانة فيها ذكرٌ،

وعلاوة على ذلك فان فى فتوح مصر كتبا مختصة بذلك مثل خطط مصر

للكندی وکشف الممالك لابن شاهین، وتاریخ مصر لعبد الرحمن الصوفی و تاریخ مصر لابن برکات النحوی وتاریخ مصر لمحمد بن عبد الله وغیرها مما ذکرها صاحب کشف الظنون، والمقریزی جمع واوعی کل ذلك ولم یترك روایة ولا خبرًا یتعلق بمصر الا وذکره عند تفصیل الفتح ولم یذکر هذه الواقعة عند ذکر فتح الاسکندریة،

قال المولف،

واما خلو کتب الفتح من ذکر هذه الحادثة فلابد له من سبب والغالب انهم ذکروها ثم حذفت بعد تضیع التمدن الاسلامی واشتغال المسلمین بالعلم ومعرفتهم قدر الکتب فاستبعد واحدوث ذلك فی عصر الخلفاء الراشدین فحذفوه ولعل الی ذلك سببًا اخر، (الجزء الثالث صفحه ۴۵)

لا یستبعد مثل هذا الکلام عن مثل المؤلف وکیف یقدر دیانة مورخی الاسلام وشدتهم فی تحری الصدق ونزاهتهم عن التغییر والتحریف وبراءة ساحتهم عن الحذف والاسقاط، من صار غریزته تعمد الکذب والتحریف والخیانة والمحو والاثبات،

قال المولف،

ثالثًا ورد لی ما کان کثیرة من تواریخ المسلمین + خبر احراق مکاتب فارس وغیرها علی الاجمال وقد لخصها صاحب کشف الظنون، (الجزء الثالث صفحه ۴۵)

انظر الى هذا الكذب الفاحش والخديعة الظاهرة فان صاحب الكشف ذكرها ذكر من عند نفسه من غير نقل رواية ولا استناد ولا استشهاد بكتاب ولا ذكر ناقل ومورخ وصاحبنا يقول انه ورد في اماكن كثيرة من تواريخ المسلمين خبر احراق المكاتب وقد لخصها صاحب كشف الظنون فاين الاماكن الكثيرة واين التلخيص اما قول صاحب كشف الظنون فقد ورد عرضا وتطفلا وكذلك قول ابن خلدون وامثال هذه المواقع لا تحتاج الى كبير اعتناء وزيادة احتياط ولذلك لما ذكر ابن خلدون فتح مصر واسكندرية وهو المظنة لذكر هذه الواقعة لم يتفوه بهذه الرواية اصلا فخبر ابن خلدون وصاحب كشف الظنون من رجال القرن الثامن وبعده فما لم يذكرا انهما من اين اخذا هذه الرواية لا يعبأ بها ولا يلتفت اليها،

قال المولف،

رابعا ان احراق الكتب كان شايعا في تلك العصور كما فعل عبد الله بن طاهر بكتب فارسية (الجزء الثالث صفحه ٣٥)

يا للعجب، عبد الله بن طاهر من قواد المامون ومن رجال الادب وهذا العصر ممتاز بكونه عصر العلم والمعارف وقد كانت الدولة ورجال حاشيتها وغيرهم عناية كبرى بكتب الاوائل وكانوا يتقلبون الكتب من فارس وبلاد الروم وغيرها تجد تفاصيل ذلك في فهرست بن النديم

وطبقات الاطباء واخبار الحكماء وغيرها فكيف يعوّل على هذه الرواية التي اذكرها احدٌ من ثقات المورخين وانما استند المولف ببراءون المعلم الانكليزي وهو نقلها من تذكرة دولت شاه وهو كتابٌ جامعٌ لكل غثٍ وسمين، ولو صحّ نقلها لكانت على سبيل الندرة والشذوذ فهل يصحّ قول المولف انّ احراق الكتب كان شايعًا في تلك العصور،

قال المولف، خامسا،

ان اصحاب الاديان في تلك العصور كانوا يعدّون هدم المعابد القديمة واحراق كتب اصحابها من قبيل السعي في تاييد الاديان الجديدة،

(ثم ذكر في تاييد ذلك عمل امبراطور اة الروم واحراق كتب المعتزلة،

نعم ولكن الراشدين لا يقاسون بغيرهم، ثم ان المسئلة ليست قياسية فما لم يثبت بالرواية لا ينفع مجرد القياس،

قال المولف، سادسا،

في تاريخ الاسلام جماعة من ائمة المسلمين احرقوا كتبهم من تلقاء انفسهم

(ثم ذكر بعض الحوادث في تاييد ذلك،)

عجبًا لمثل هذا الاستدلال، فان المرء يجوز له ان يفعل بملكه ما يشاء واي حجةٍ في ذلك لاحراق كتب لاقوام اخر،

انّ هذه القياسات الواهية لا تغني شيئًا ولكن لو اردنا ان نستقصي

فی ذلک البحث بالقیاس والامارات فعلینا ان ننظر ما کان صنیع الخلفاء الراشدین باثار اھل الذمۃ ومعابدھم وکنائسھم وامتعتھم وخزاینھم، ان الاصل فی ذلک عھد النبی صلی اللہ علیہ وسلم الذی کتبہ لاھل نجران وقد ذکرہ القاضی ابو یوسف فی کتاب الخراج بحروفہ

ولنجران وحاشیتھا جوار اللہ وذمۃ محمد النبی رسول اللہ علی اموالھم انفسھم وارضھم وسلتھم وغائبھم وشاھدھم وعشیرتھم وبیعھم وکل ما تحت ایدیھم من قلیل او کثیر (کتاب الخراج طبع مصر صفحہ ۷۱)

فکان ھذا العھد ھو العمدۃ للصحابۃ عضوا علیہ بالنواجذ وتجد فی کل عھود الخلفاء الراشدین کعھد نجران ومصر وشام والجزیرۃ ان ھذا الاصل ای ذمۃ اللہ ورسولہ علی ارضھم وکل ما تحت ایدیھم من قلیل او کثیر محفوظ باق علی حیالتھا الاصلیۃ وعھد مصر ھو ھذا۔

"ھذا ما اعطی عمرو بن العاص اھل مصر من الامان علی انفسھم وذمھم واموالھم وصلاتھم ومدھم وعدھم"

وذکر فی معجم البلدان روایۃ بزیادۃ "ان لھم ارضھم واموالھم لا یتعرضون فی شیء منھا" وانت تعلم ما لعمر الفاروق من العنایۃ والشدۃ فی وفاء العھد باھل الذمۃ وغیرھم ومع عھدہ بانھم لا یتعرضون فی شیء من اموالھم وکل ما تحت ایدیھم کیف کان یتعرض لخزانۃ کنائسھم التی ھی من انفس ذخائرھم واغلاھا

اعلم انّ مسئلة احراق الخزانة الاسكندرية موضوعٌ مهم عند اهل اوربا وقد طال البحث فيه اثباتا ونفيًا وممّن التزم بهذا البحث اجمالا وتفصيلا المعلم وايت والمعلم وساسي الفرنساوي في ترجمة كتاب الافادة والاعتبار وواشنگتن ارونگ ودريبر الاميركاني صاحب كتاب الجدال بين العلم والدين وكرچتن وسيديو الفاضل الشهير الفرنساوي في تاريخ الاسلام والمعلم رينان الفيلسوف الفرنساوي في خطبته الاسلام والعلم، وارنمر گلبين، والمعلم كريل الالماني رسالةٌ مستقلةٌ في هذا البحث قدّمها في المؤتمر الشرقي الذي انعقد سنة ۱۸۷۸م، اوردَ فيها كل ما كتب الباحثون في هذا البحث نفيا واثباتا وقد طالعت كل هذه المباحثات والمقالات وعملتُ رسالة في لسان الاردو وترجمت الى الانكليزية ثم الى العربية ترجمها احد من اهل الشام وطبع شطرٌ منها في جريدة ثمرات الفنون، ومجلة المقتبس،

والحاصل ان محققي اهل اوربا قضوا بان الواقعة غير ثابتة اصلا منهم جيبن المورخ الشهير الانكليزي ودريبر الاميركاني وسيديو الفرنساوي وكريل الالماني والمعلم رينان الفرنساوي عمدتهم في انكار ذلك امران الاول انّ الواقعة ليس لها عينٌ ولا اثرٌ في كتب التاريخ الموثوقة بها كالطبري وابن الاثير والبلاذري وغيرها مما مرّ ذكرها واول من ذكرها عبد اللطيف والقفطي وهما من رجال القرن السادس والسابع ولم يذكرا مصدرًا للرواية

ولاسند۔ والثانی ان الخزانۃ کان ضاعت قبل الاسلام اثبتوا ذالک بدلائل لایمکن انکارھا۔

قال المؤلف،

"قلنا فیما تقدم ان الخلفاء الراشدین کانوا یخافون الحضارۃ علی العرب ۔۔ ولذالک منعوھم من تدوین الکتب ۔۔ وکان ھذا الاعتقاد ناشئا فی الصحابۃ والتابعین و تمسک بہ جماعۃ من کبارھم وکانوا اذا سئلوا ان یدونوا علیھما ابوا واستنکفوا (الجزء الرابع صفحۃ ۵۰)

اطال المؤلف ونقل اقوالا عدیدۃ فی اثبات ان الخلفاء الراشدین و الصحابۃ کانوا یمنعون الناس عن الکتابۃ والتالیف ونحن لاننکر ان ھذا کان مذھبا لبعض الصحابۃ والتابعین ولکن الذین رخصوا فی ذلک وامروا بالکتابۃ والتدوین اکثرھم عددا واوزنھم میزانا واوسعھم نفوذا وقد عقد المحدث المشھور القاضی ابن عبدالبر فی کتابہ جامع بیان العلم (انظر صفحۃ ۳۶ طبع المصر) بابا فی اثبات ذالک ونحن ننقل شطرا منہا، قال "وعن انس بن مالک قال قال رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم قیدوا العلم بالکتاب وعن عبدالملک بن سفیان عن عمہ انہ سمع عمر بن الخطاب یقول قیدوا العلم بالکتاب وعن معن قال اخرج الی عبدالرحمن ابن عبداللہ بن مسعود کتابا وحلف لی انہ خط ابیہ بیدہ وعن ابی بکر قال سمعت الضحاک یقول اذا سمعت شیئا فاکتبہ ولو فی حائط وعن سعید بن جبیر انہ کان

یکون مع ابن عباس فیسمع منه الحدیث فیکتبه فی واسطة الرحل فاذا نزل
نسخه وعن ابی قلابة قال الکتاب احب الینا من النسیان وعن ابی ملیح قال
یعیبون علینا الکتاب وقد قال الله علمها عند ربی فی کتاب، وعن عطاء عن
عبد الله بن عمرو قلت یا رسول الله أُقیّد العلم قال قیّد العلم قال عطاء
قلت وما تقیید العلم قال الکتاب وعن عبد العزیز بن محمد الدراوردی
قال اول من دون العلم وکتبه ابن شهاب وعن عبد الرحمان بن ابی الزناد
عن ابیه قال کنا نکتب الحلال والحرام وکان ابن شهاب یکتب کلما سمع فلما
احتیج الیه علمت انه اعلم الناس وعن سوادة بن حیان قال سمعت معاویة
بن قرة یقول من لم یکتب العلم فلا تعدوه عالما وعن محمد بن علی قال
سمعت خالد بن خداش البغدادی، قال ودّعت مالک بن انس فقلت
یا ابا عبد الله اوصنی قال علیک بتقوی الله فی السر والعلانیة والنصح لکل
مسلم وکتابة العلم من عند اهله وعن الحسن انه کان لا یری بکتاب العلم باسا
وقد کان اصلی لتفسیر فکتب وعن الاعمش قال قال الحسن ان لنا کتبا
نتعاهدها وقال الخلیل بن احمد اجعل ما تکتب بیت مال وما فی صدرک
للنفقة وعن هشام بن عروة عن ابیه انه احترقت کتبه یوم الحرّة
وکان یقول وددت لو ان عندی کتبی باهلی ومالی وعن سلیمان
بن موسی قال یجلس الی العالم ثلاثة رجلٌ یاخذ کل ما سمع فذلک

حاطب لیل ورجلٌ لایکتب ویستمع فذلک یقال له جلیس العالم ورجل
ینتهی وهو خیرهم وهذا هو العالم وعن اسحٰق بن منصور قال قلت لاحمد
بن حنبل من کره کتابة العلم قال کرهه قومٌ ورخّص فیه اخرون قلت له
لولم یکتب العلم لذهب قال نعم لولا کتابة العلم ایُّ شیٍٔ کنّا نحن قال اسحٰق و
سالتُ اسحٰق بن راهویه فقال کما قال احمد سواء وعن حاتم الفاخر و
کان ثقة قال سمعت سفیان الثوری یقول انی احب ان اکتب الحدیث
علی ثلاثة اوجهٍ حدیث اکتبه اریدان اتخذ دینا وحدیث رجل اکتبه
فاوقفه لااطرحه ولاادین به وحدیث رجل ضعیف احب ان اعرفه
ولااعبأ به وقال الاوزاعی تعلّم ما لایوخذ به کما تتعلم ما یوخذ به و
عن سعد بن ابراهیم قال مرنا **عمر بن عبد العزیز** بجمع السنن
فکتبناها دفترًا دفترًا فبعث الی کل ارضٍ له علیها سلطانٌ دفترا وعن
ابی زرعة قال سمعت احمد بن حنبل ویحیی بن معین یقولان کل من
لایکتب العلم لایومن علیه الغلط وعن الزهری قال کنا نکره کتاب العلم
حتی اکرهنا علیه هؤلاء الامراء فرانینا ان لانمنعه احدا من المسلمین وذکر
المبرد قال قال الخلیل بن احمد ما سمعت شیئا الا کتبته ولا کتبته الا حفظته ولا حفظته الا نفعنی

الضغط علی اهل الذمة ادعی المولف ان **عمر بن الخطاب** کتب
عهدًا لنصاری اهل الشام وذکر نصه منقولا عن سراج الملوک للطرطوشی

واعترف بان فيه ضغطا على النصارى ثم اعتذر لعمر بان نصارى الشام كانوا يميلون الى قيصر الروم وكانوا من بطانته يتجسسون له فلذلك احتيج الى الشدة بهم والتضييق عليهم،

كُلّ من له ادنى مسكة فى التاريخ يعرف انّ **الطرطوشى** ليس من رجال التاريخ وكتابه كتاب ادب وسياسة لا كتاب تاريخ وهو من رجال القرن السادس وانما المعوّل فى هذا البحث المصادر القديمة الموثوقة بها كتاريخ الطبرى والبلاذرى واليعقوبى وابن الاثير وغيرها وهذا ما كان يخفى على المولف ولكن لاجل هوى نفسه اعرض عن كل هذه وتشبث برواية واهية تخالف الروايات الصحيحة المذكورة باسنادها ورجالها، قال القاضى **ابو يوسف** وهو مع كونه من رجال الفقه عارفٌ بالمغازى والسّير بعد ما نقل عهد نصارى الشام وليس فيه ادنى ضغط عليهم ولا شدة بهم،

"فلما راى اهل الذمة وفاء المسلمين لهم وحسن السيرة فيهم صاروا اَشِدَّاء على عَدُوّ المسلمين وعونا للمسلمين على اعدائهم فبعث اهل كل مدينة رسلهم ممن جرى الصلح بينهم وبين المسلمين رجالا من قبلهم يتجسّسون الاخبار عن الروم وعن ملكهم وما يريدون ان يصنعوا فاتى اهل كل مدينة رسلهم يخبرونهم بان الروم قد جمعوا جمعا ** فكتب ابو عبيدة الى كل وال ممن خلفه فى المدن التى صالح اهلها يامرهم ان يردوا عليهم ما جبى منهم من **الجزية**

والخراج وكتب اليهم ان يقولوا لهم انما رددنا عليكم اموالكم لانه قد بلغنا
انه جمع لنا من الجموع وانكم قد اشترطتم علينا ان نمنعكم وانا لا نقدر على ذلك
وقد رددنا عليكم ما اخذنا عنكم، فلما قالوا ذلك لهم ورد واعليهم الاموال
التي جبوها منهم قالوا ردكم الله علينا ونصركم عليهم فلو كانوا هم لم يردوا
علينا شيئا واخذوا كل شئ بقي لنا حتى لا يدعوا شيئا (كتاب الخراج طبع مصر صفحة ٢٠)
فانظر الى هذا العدل الذي عجز التبر عن ايتان مثله واعتراف اهل الذمة
بذلك والى قول المولف ان عمر ضغط عليهم وانما ضغط لانهم كانوا من جواسيس الروم،

تاريخ العلوم الاسلامية | اما تاريخ العلوم الاسلامية والتقريظ عليها فقد فقدنا
اليوم في ملتنا من يقوم بهذا العبأ فكيف برجل دخيل فينا مزجاة البضاعة قليل
المعرفة لا يعرف من علومنا الا اسماء التقاها من ظواهر الكتب وافواه العامة فاذا
تكلم عن شئ منها خبط وخلط وهلك امثاله من ذلك قال "وكان المسلمون غير العرب
هناك اكثرهم الفرس وهم اهل تمدن وعلم فعمدوا الى استخدام القياس العقلي في استخراج
احكام الفقه من القرآن والحديث فخالفوا بذلك اهل المدينة لانهم كانوا شديدي
التمسك بالتقليد" (الجزء الثالث ص ٧) ظن الرجل ان استخدام القياس والراي من
مبتدعات الفرس مع ان اول من سمي بهذا الاسم هو ربيعة الراي صرح بذلك
السمعاني في الانساب وهو من اهل المدينة ومن اخذ عنه الامام مالك، وان
المالك والشافعي وابا يوسف والامام محمد كلهم يستعملون القياس معكونهم

من العرب اَرومةً وموطناً واداةً وان الفارق بين اصحاب الرای والحدیث لیس استعمال القیاس فی فصل القضیة فی ذلك تجده فی کتاب حجة الله البالغة لشاه ولی الله الدهلوی من متاخری حکماء الاسلام۔ ثم قال المولف "فکان من جملة مساعی المنصور فی تصغیر امر المدینة وفقهائها وخصوصا مالك بعد ان افتی بخلع بیعته انه نصر فقهاء العراق القائلین بالقیاس وکان کبیرهم یومئذ ابا حنیفة النعمان فی الکوفة فاستقدمه المنصور الی بغداد واکرمه وعزز مذهبه"

ظلمات بعضها فوق بعض ما کان ابو حنیفة ارفع مکانة عند المنصور من مالك فان ابا حنیفة کان هواه مع ابراهیم الخارج علی المنصور وکان افتی بنصرة ابراهیم ولذلك اراد المنصور المکیدة به فاستدعاه وعرض علیه القضاء ولما لم یرض به سجنه وامر بضربه حتی مات فی السجن، اما ما قال عن تصغیر امر الامام مالك فیخالف الروایات الصحیحة الثابتة قال القاضی بن عبد البر فی کتاب جامع العلم (صفحة ۶۷) عن محمد بن عمر قال سمعت مالك بن انس یقول لما حج ابو جعفر المنصور دعانی فدخلت علیه فحدثته وسالنی فاجبته فقال انی عزمت ان امر بکتبك هذه التی وضعتها یعنی الموطاء فینسخ نسخا ثم ابعث الی کل مصر من امصار المسلمین منها نسخة وامرهم ان یعملوا بما فیها لا یتعدوها الی غیرها ویدعوا ما سوی ذلك من هذا العلم المحدث فانی رایت اصل هذا العلم روایة اهل المدینة وعلمهم الخ۔

قال "وکان ابو حنیفة لا یحب العرب ولا العربیة حتی انه لم یکن یجیز الاعراب ولا یبالی به

(الجزء الثالث صفحة ١ مستندا بابن خلكان) نعوذ بالله من هذا الكذب الظاهر والمين الفاحش استشهد المؤلف فى هذه الواقعة بابن خلكان والحال ان ابن خلكان ذكر فى تاريخه فى ترجمة ابى حنيفة بعد ذكر محاسنه ان الخطيب البغدادى اطال فى مثالب ابى حنيفة ثم انكر عليه ذلك وقال ما كان يعاب ابو حنيفة الا بقلة العربية فانه قال ولو رماه بابا قبيس ثم اعتذر له بنوع من العذر وليس فيه اقل شئ يومى الى ان ابا حنيفة كان لا يحب العرب والعربية، ثم ان ابا حنيفة كان ناقما على العباسية المحامين للفرس وكان من شيعة زيد الامام ابن الامام زين العابدين وكان تلميذ لحماد وهو تلميذ لابراهيم النخعى وكلهم عرب - ثم اصحابه الملازمون له الناشرون لفقهه القائمون بدعوته اى ابو يوسف ومحمد وزفر وكلهم عرب، اما الحسن ابى حنيفة فمعلوم انه عجمى وكم من الاعاجم الذين هم رؤس الادب ووجوه العربية كحماد الراوية وغيره كانوا يلحنون وكان هذا طبيعتهم وغريزتهم،

فمن كان هذا مبلغه من العلم ومحله من النظر هل يصلح لسلوك هذا الطريق الوعر والخوض فى غمار هذا البحث الدقيق الذى يحتاج الى التضلع فى العلوم الاسلامية والتوسع فيها مع سعة النظر ووفرة المواد واصابة الراى وشدة الفحص وافراغ الجهد وتكميل الادوات ثم ان الرجل همنا هو الرجل الذى عرفناه قبل ذلك فى سوء طويته وكامن حقده وتحامله على العرب واعتياده بالتحريف والتمرن بسوء التاول وتلبيس الكلام وهاك امثلة من هذه،

قال (تحت عنوان الفقه) فلما افضى الامر الى بنى العباس واراد المنصور تصغير العرب واعظام امر الفرس لانهم انصارهم واهل دولتهم كان من جملة مساعيه فى ذلك تحويل انظار المسلمين عن الحرمين فبنى بناءً سماه القبة الخضراء حجًّا للناس وقطع المیرة عن الحرمين وفقيهُ المدينة يومئذ الامام مالك الشهير فاستفتاه اهلها فى امر المنصور فافتى لهم بخلع بيعته (الجزء الثالث صفحة ٧١)

وهذا كله كذبٌ واختلاقٌ والمنصور ابعد محلا وابرءُ ساحة من ان يبنى بناءً ارغامًا للكعبة وقد سبق لنا الكلام فيه فاما قطع المیرة عن المدينة فلم يكن الا حجرا على محمد وتضييقا عليه لما قام بالخلافة وقد صرّح بذلك المقريزى (الجزء الثانى صفحة ١٤٣) فقال وذكر البلاذرى ان ابا جعفر المنصور لما ورد عليه قيام محمد بن عبد الله قال تكتب الساعة الى مصر ان تقطع المیرة عن اهل الحرمين والامام مالك كان هواه مع محمد يحرض الناس على موازرته وافتى بخلع بيعة المنصور فانظر كيف قلب المولف الحكاية وصرفها عن وجهها فخروج محمد وافتاء الامام مالك متقدمان على قطع المیرة عن المدينة وخروج محمد هو السبب فى قطع المیرة والمولف يقول ان قطع المیرة انما كان ارغامًا للحرمين وان الامام مالك افتى لذلك بخلع بيعته

قال المولف بعد ما ذكر رغبة بنى امية فى الشعر وتنشيطهم للناس (تحت عنوان الشعر وبنو امية) وقد يتبادر الى الاذهان انهم كانوا يفعلون ذلك رغبة فى الادب وتنشيطًا لاهله لان الشعر سجية فى العرب ودولة الامويين عربية

بحتة ولكن الاغلب انهم كانوا يفعلونه للاستعانة بالسنة الشعراء على مقاومة أهل البيت الخ (الجزء الثالث صفحہ ١٠٢) فانظر الى هذا التحامل المفرط والحيف الشديد فانه لما لم يجد سبيلا الى انكار مالبني امية من الايادي في ترويج سوق الادب ورفع منار الشعر والاخذ بناصر علماء العربية واعطاء الصلات المتكاثرة للشعراء احتال لدفعه بابداء احتمال انهم كانوا مدفوعين الى ذلك سياسة،

قال وقد تقدم في كلامنا عن الفقهاء المنصور اخذ بناصر اصحاب الراى والقياس واستقدم ابا حنيفة الى بغداد ونشطه لهذه الغاية وظل الميل الى القياس متواصلا في بني العباس و**الاعتزال** قرب المذاهب الى اصحاب الراى الخ (الجزء الثالث صفحة ١٤٠) انظر الى ما بلغ به حال المؤلف في جهله بالمعارف الاسلامية حتى انه يقرن بين **الاعتزال والراى** ويعدهما من جنس واحد ولم يدر المسكين ان لا رابط بينهما فان الاعتزال احد المذاهب الكلامية والراى والقياس من احد اصول الفقه ومعظم اصحاب الراى والقياس بل كلهم (الا الشاذ النادر منهم) كابي حنيفة ومحمد وابي يوسف وزفر وابي لولو والطحاوي والخصاف وابي بكر الرازي والدبوسي وغيرهم كانوا قائمين على **الاعتزال** كانوا يعدون المعتزلة من اهل الاهواء والضلالة،

قال فلما افضت الخلافة الى المامون فاخذ بناصر اشياعه وصرح باقوال لم يكونوا يستطيعون التصريح بها خوفا من غضب الفقهاء وفي جملتها القول

بخلق القرآن ای انه غیر منزل (الجزء الثالث صفحة ۱۴۱)،

وهل یکون کذبٌ اعظم من هذا فان خلق القرآن اوقدمه لا مساس له بالتنزیل اوعدمه فان الاختلاف فی ان هل الکلام صفة حادثه تقوم بالله تعالی وهو صفة قدیمة **فالمعتزلة** قالوا لحدوثه حذرا من تعدد القدماء واهل السنة وغیرهم قالوا بقدمه لان الحادث لا یقوم بقدیم فامّا ان القرآن کلام الله تعالی منزل الی الرسول فهذا لا یختلف فیه اثنان۔

قال واما الفلسفة بحد ذاتها فقد کان اصحابها متهمین بالکفر وکان الانتساب الیها مراد فالانتساب الی التعطیل وقد شاع ذلك فی **بغداد** بین العامة حتی فی ایام المامون ولذلك سماه بعضهم امیر الکافرین (الجزء الثالث صفحة ۱۷۷) استشهد المولف فی هذا القول بالیعقوبی ونحن ننقل عبارته حتی تعرف مقدار خدیعة المولف، قال الیعقوبی "وشخص هرثمة من العراق الی مرو سنة ۲۰۱ وقیل انه انصرف بغیر اذن من المامون فلما دخل علی المامون ××× قال من نقرس ولا یمکننی مشی فی محفة ××× وکلم المامون بکلام علیه ودخل معبجی بن عامر ابن اسمعیل الحارثی فقال السلام علیك یا امیر الکافرین فاخذته السیوف فی مجلس المامون حتی قتل فقال هرثمة قدمت هذه المجوس علی اولیاءك وانصارك واتوا محمد بن صالح بن المنصور فقالوا نحن انصارك ولنکم وقد خشینا ان تذهب هذه الدولة بما حدث فیها من تدبیر المجوس"، (الیعقوبی صفحة ۵۴۶ و ۵۴۷)

ان المامون استوزر حسن بن سهل وكان مجوسيا اسلم فقدم العرب على المامون و
قالوا انك قدمت المجوس وقال له يحيى السلام عليك يا امير الكافرين فهذا كله من
السياسة لا مساس لها بالفلسفة والاعتزال وابن هرثمة ويحيى بن عامر الحارثي من
اهل الجند ما عرفا الفلسفة ولا سمعا بها،

قال المؤلف "ولكن الاسلام كان اقرب الى اطلاق حرية الفكر والقول
وخصوصا في وائله فلم يكن احدهم يستنكف من ابداء ما يخطر له ولو كان مخالفا
لراي الخليفة ولذلك كثرت الفرق الاسلامية يومئذ وتعددت مذاهب اصحابها
في القراءة والتفسير والفقه وفي كل شيء حتى ذهب بعضهم الى ان سورة يوسف
ليست من القرآن لانها اقتصت من القصص والقائلون بذلك العجاردة (الجزء
الثالث صفحة ٦١) انظر الى هذه الخديعة يمدح الاسلام بكونه اقرب الى حرية
الفكر ويدس فيه ان بعض الطوائف الاسلامية كانت تنكر ان سورة يوسف
من القرآن وهم العجاردة يوهم بذلك ان العجاردة فرقة من الفرق الاسلامية وان انكار بعض سور
القرآن كان مذهبا من مذاهب الاسلام مع ان العجاردة وهم حماد عجرد
واثنان اخران معروفين بالالحاد والزندقة والمروق عن الاسلام ذكرهم
ابن خلكان والشهرستاني وغيرهما،